زينب بنت علي عليهم السلام

فيض النبوة وعطاء الإمامة

تأليف

إبراهيم حسين بغدادي

قدم له

سماحة الحجة

السيّد محمد علي الحلو

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
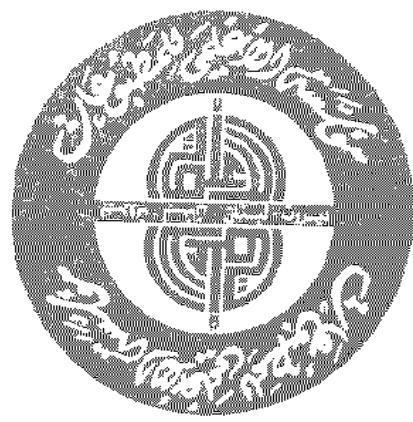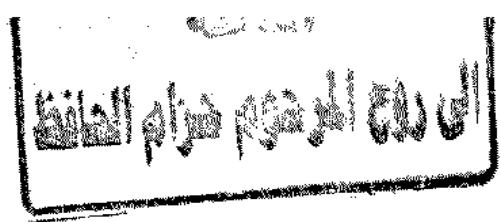
زينب بنت علي

فيض النبوة وعطاء الإمامة

زينب بنت علي
فيض النبوة وعطاء الإمامة

بقلم

إبراهيم حسين البغدادي
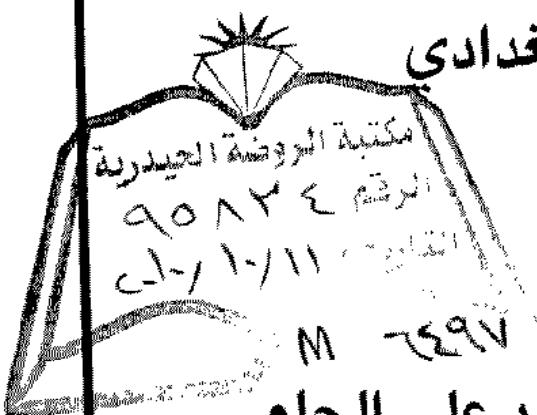
قدم له

سماحة الحجة السيد محمد علي الحلو

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

بسمه تعالى

بعد إطلاعه على هذا الكتاب تفضل علينا سماحة السيد الحجة السيد محمد علي الحلو (دام عزه)[1] بمقدمة وإنه لشرف لي أن أجعلها بداية كتابي هذا.

---

(١) هو السيد محمد علي بن السيد يحيى بن السيد محمد الحلو الموسوي النجفي المعروف بالسيد محمد علي الحلو، ولد في النجف في طرف العمارة وترعرع في بيت جده العلامة السيد عبد الرزاق الحلو، وكان ملازماً لخال والده السيد عبد علي الحلو إبان طفولته لا يفارقه عند مراودته المجالس العامة، وكان لوالده السيد يحيى أثر في أنفتاحه على عالم الحوزة والأدب حين كان عضواً في جمعية التحرير الثقافي ففتح عينيه على بعض رجالها كالسيد مرتضى الحكمي والشيخ عبد الغني الخضري وآخرين، فكان يراقب ما يجري فيه هذا الجو العلمي الأدبي دون أن يعي ما يدوره إلا أن ذلك كان مبهماً عنده وغير واضح المعالم لديه، وهي بذرته الأدبية العلمية الأولى، وواصل قراءاته الأولى وهو في الدراسة الأبتدائية حيث كان يقرأ بعض ما توفر لديه من مكتبة والده إلا أن ذلك لم يكن على سبيل الأستيعاب بل على أساس الشغف المبكر والتقليد للآخرين في القرآءة والبحث وكلما كبر، كبرت لديه روح البحث والقرآءة فكان في أيام شبابه يتابع الصحافة الصادرة وقتذاك فضلاً عن متابعته للقرآءات الدينية وخصوصاً التاريخية.. كان التأريخ شغله الشاغل.

وقبل الهجرة من العراق إلى ايران بسبب الظروف آنذاك تخرج من كلية الأدارة والأقتصاد، وعلى صعيد الدراسة الحوزوية مرحلة البحث الخارج. وأما مؤلفاته فهي:

١ـ موسوعة أدب المحنة.
٢ـ خلفاء المدرستين قراءة في نصوص أهل السُنة.
٣ـ أنصار الحسين... الثورة والثوار.
٤ـ عقيلة قريش... آمنة بنت الحسين عليها السلام.
٥ـ كشف البصر من تزويج أم كلثوم من عمر.
٦ـ التحريف والمحرفون.
٧ـ الإمام الحسن رجل الحرب والسلام.
٨ـ الإمام الجواد عليه السلام الإمامة المبكرة.
٩ـ عقائد الإمامية برواية الصحاح الستة.

بسم الله الرحمن الرحيم

غدت واقعة كربلاء تضيف معلماً آخر من معالم الوعي العام الذي لم تمتلكه الأمة منذ عقود مرت على رحيل النبي ﷺ، وهي في الوقت نفسه

=١٠ـ وقفوهم إنهم مسؤولون.
١١ـ عقائدنا بين السائل والمجيب.
١٢ـ الملتحقون بسفينة النجاة.
١٣ـ مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام تقريرات لبحوث آية الله الشيخ محمد السند.
١٤ـ تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النص ونص السلطة.
١٥ـ الغيبة والأنتظار.
١٦ـ علامات الظهور جدلية صراع أم رؤية مستقبل.
١٧ـ اليماني راية هدى.
١٨ـ محكمات السنن في الرد على أهل اليمن. شبهات الزيدية في الإمام المهدي عجل الله فرجه.
١٩ـ ما نزل من القرآن في فاطمة الزهراء عليها السلام.
٢٠ـ الشهادة الثالثة... الهوية المطاردة.
٢١ـ من أجل السلام.
٢٢ـ أبو هريرة القادم من المجهول.
٢٣ـ صانعوا السلام علي وبنوه.
٢٤ـ تفسير الإمام الحسين.
٢٥ـ الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة.
وله العشرات من المقالات ما نشرت في مجلات عالمية ويشرف على مجلة الغري وتحريرها وكانت تصدر في المهجر، وإدارة مجلة الأنتظار التي تصدر في النجف عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه.
حاليا يزاول التدريس والتأليف والتحقيق.
كتب الشعر إلا أنه كان مقلاً في شعره وله قصيدة في الإمامين الجوادين كتبت على ضريحهما المطهر ومطلعها:

يا جواد الآل يا نعم الجواد — يا سمي المصطفى خير العباد

(النجف الاشرف أدبائها. كتابها. مؤرخوها، ج٢: ٣٨٩ للباحث عبد الرضا فرهود).

أضافت عنصراً آخر من عناصر النهضة الفكرية للعنصر الإنساني برمته، وحينما أعمم الأمر بهذا التعميم الإنساني أعي أن هذه النهضة قد أيقظت الأحساس العام ليشارك في رسم مسيرتها التاريخية غير المسلمين ممن جالت أقلامهم في خضم هذا الطغيان الجارف من العواطف ليبعث توجهاً عاماً نحو الواقعة وليكتب كلٌ بحسبه وعلى أساس مذاقاته الفكرية والثقافية كذلك.. وكل الذي قرّضناه من هذا الجهد الجهيد الضخم في البحث والتنقيب عن النهضة الحسينية فهي أي الجهود في مراحلها الأولى ولعلها لم تتخط بعض المطلوب، فالنهضة هذه وجميع حيثياتها سرٌ إلهي أستدعى ضمائر الأمة إلى التفحص أكثر فأكثر حتى تجد نفسها تكتشف الجديد من القيم والمبادى، وبمعنى آخر فإن هذه الثورة الحسينية ولودٌ دائم لكل المعطيات الإنسانية التي تبحث عنها جميع الأمم بمختلف توجهاتها، ومن يدري فلعل هذه القيم تبقى مجهولة تستحث الخطى للوصول إلى تعريفها على يد (وارث الثورة) ولهذا الوارث خصوصياته الموروثة من قائدها فيرفع بعد ذلك شعار الثأر العظيم.

وإذا كانت الثورة بقائدها فأن لأشخاصها مزية التعريف، وجذوة العطاء، ودلالة النصر بتساميها إلى شرف الوفاء، ورفعة العزة، ونجابة البذل، وأي نجابة أغلى من سفك المهج وتقديم الذرية على مذابح الفداء؟

وأي وفاء أوفى من تسابق المهج لدفع المكروه عن سيدهم العظيم؟، بل وأي عزةٍ تشمخ بصاحبها إلى مصافي الأحياء في كل آنٍ من آنات العظمة والمجد.

هذه هي نماذج كربلاء فريدةٌ على أي حال، وبكل مستوى من مستويات العطاء، بل بكل مستوى من مستويات الرموز التي صنعت ملاحم عجز عنها السابقون وتصاغر عندها اللاحقون، لتؤرخ هذه النماذج لكل عطاء، وتعدّ لكل فضيلة، وتشير الى كل مكرمة، أي أن نماذج كربلاء مقاسات المآثر

بكل ألوانها لا أن تقاس هي على مكارم الصفات وهذه هي المزية التي خصت كربلاء بكل شخوصها وأحداثها.

ولعل الذي يؤكد ما نحن فيه فيه أن نستعرض أي عينةٍ من صنّاع هذه الملاحم فلا نجدُ إلا عظمة الموقف بشموخه الكربلائي، أجل شموخ كربلاء ذلك اللون الذي قهر كل مناحي العظمة في المواقف، ودحر كل عتيدٍ في التضحيات ليُحدث لوناً جديداً من ألوان الملحمة...

فالطفولة في كربلاء لا تعني غير البطولة في الفداء، والتضحية بلونها البريء الجميل لكنه الكبير العظيم، وبمعنى آخر فإن عبدالله الرضيع ذلك السداسي من أشهره الأولى يسجّل لوحده ملحمة الفداء بكل أمتياز، فتبقى هذه الملحمة تتألقُ في وهج حرقة الضمائر الحيّة إلى يوم يبعثون، فهل أعظم من هكذا بطولة؟!

والقاسم ذلك الفتى الحسني يحتسبُ ما قدّمه من أجل عقيدته جزءاً من ضريبة الإنتماء الحسيني ليذعن لسيوف المنية بعد أن أذعن أبطالها إلى حتمية الحتوف وتستبق صورة الشاب هذا إلى كل مخيلةٍ شابّةٍ لازالت غضةً بطموحاتها من أجل المجد لتؤسس صورته لها مراقي الخلود.

وهكذا هي حيثيات الواقعة متميزة بكل جذوات القيم والمبدأ، فهي ليست كغيرها من الحالات... والأنوثة في كربلاء لا تعني إلا الثورة بأنوثتها المتطاولة على زمن المعجزات، ولهذه الأنوثة شهقة الغضب لتُهزم الطغاة، وزفرة الثأر لتقض مضاجع الجبابرة، وأنين المتوعد بكل ثقة التصبر والأنتقام، فبنتُ علي زينب الكبرى ترسم خطى الموتور، وتؤجج لظى الثأر بصوته الفاطمي يوم كانت أمها تقف على عتبات المسجد لتلقي بيان الثورة الأول الذي أفتتح بأسم الله وبأسم كل مظلوم إلى يوم الناس هذا... هذه هي وريثة الوحي وربيبة فاطمة تُعيد المجد إلى نصابه في كربلاء، وتنسجَ الواقعة على المنوال الفاطمي الفاتح بكل طموحاته ودواعيه.

ولم تكتمل حلقات التقريض، ولا عزمات الثناء على هذه السيدة العظيمة بأي دراسةٍ كانت سوى أنها تشير إلى حدثٍ وقع في تاريخ ما، أما أن تقف على حيثيات هذه البطولة الزينبية فإنها عسيرةٌ جداً، وأعسّر منها أن ندّعي أننا أكملنا كل شيء فيما يتعلق بهذه الملحمة النبوية (زينب بنت علي)

سوى أننا نشير بألمامات سريعةٍ علّها تعبّر عن بعض المطلوب، ويبقى الفارقُ بين دراسة وأخرى في الداعي لهذه المحاولة أو تلك إلا أن هذه المحاولة التي أسسها عزيزنا سماحة الشيخ إبراهيم البغدادي نفحات المخلص والموقن بأن وراء هذه السيدة سرٌ عظيم لم تناله أفهامنا ولعل بعض تاريخها عزاء المقصر.. وفي الدراسة كما لا يخفى الشيء الجديد من التحقيق بذله الكاتب بما ينسجم ومتطلبات البحث حتى وقف على بعض الحقائق التي سيقف عليها القارئ قريباً عند مطالعته الكتاب ليحمد للكاتب جهده، ويثني عليه إخلاصه، كما أثني عليه همته الرائعة في تقديم الجديد من دراسات التاريخ المضيّع، والشخوص المغيّبة... سائلاً من الله تعالى أن يجعله من خدمة هذا الخط الذي ما ألتجأ إليه إلا فاز وسعد، وما أبتعد عنه إلا هوى وهلك.. والحمد لله كما هو أهله والصلاة والسلام على محمد وأهل بيته الطاهرين.

السيد محمد علي الحلو

النجف الأشرف

٢٧ـ ربيع الأول ١٤٣١ هـ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم اجمعين.

قد يعتقد القارئ لسيرة الحوراء زينب عليها السلام أنها امرأة أضعفها الحزن واقعدتها المصيبة سيما ان سيرتها المباركة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً باحداث عاشوراء الدم والشهادة بل هي أم عاشوراء، وكيف لا اقول انها ام عاشوراء!! فعاشوراء وثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت لوالدين كريمين، الوالدُ هو الإمام الحسين عليه السلام الذي ولدت له تلك المولودة الخالدة باوسع معاني الجمال والجلال والعظمة، الحسين عليه السلام الذي سعى من المدينة الى مكة ومن مكة الى كربلاء في خلق هذه المولودة المباركة التي ولدت بين الأول من محرم عام احدى وستين للهجرة الى يوم عاشوراء من تلك السنة على ارض كربلاء، هذه المولودة كانت بحاجة الى ام واعية ترعاها وتضحي في سبيلها، تلك الام كانت زينب الكبرى عليها السلام.

مع غروب شمس يوم عاشوراء وبعد ولادة تلك الثورة العظيمة حان دور (الأم) وهي زينب عليها السلام، فمدّت يديها لأستقبال مولودها وقد ضمتها الى صدرها ضمت صدر الحسين عليه السلام الى صدرها وقالت كلمتها الخالدة «**اللهم تقبل منا هذا القربان**» حتى نهضت واستقامت وجلدت امام عواصف الاحداث فكانت تحمل مولودتها وتهاجر بها من كربلاء الى الكوفة والشام والمدينة، وكانت معها اينما ذهبت، وسعت سعيها وجاهدت جهادها في

تربية وتنشئة تلك المولودة[1].

نعم، هي ام عاشوراء الثورة، التضحية، الرسالة والتي طالما كانت تسمع ذلك من جدها وأمها وأبيها، بل حتى أخويها كما حدثها بذلك مفصلاً سيد شباب الجنة عليه السلام حينما جعل لها الوصاية على عائلته وخصوصاً حمايتها وحفظها لولده الامام علي السجاد عليه السلام.

صحيح ان مصيبة عاشوراء مما يشق حمله على الرجال فضلاً عن النساء ولكن زينب ليست كأي أمرأة انها وبغير تعريف لها بنت علي بن ابي طالب وبنت فاطمة الزهراء عليهما السلام.

فبعد عهد النبوة كانت فاطمة الزهراء عليها السلام المفجوعة بفقد ابيها صلى الله عليه وآله وما جرى عليها بعد فقده صلى الله عليه وآله من غصب وظلم وترويع، تلك المصائب التي جرت على زهراء العالم ورثتها حوراء كربلاء.

فهي ثاني اعظم سيدة من سيدات اهل البيت المحمدي، حملت امانة لا يستطيع حملها الرجال.

ان هذا الكتاب الذي بين يديك هو مقارنة بين مصائب الأم ومصائب البنت، هذه المصائب التي كانت شرارتها الأولى بدأت مع الأم واكملت مسيرتها البنت، نعم ورثت مصائب امها وزادت فكانت الصابرة والمحامية والامينة والمجاهدة والشجاعة والبطلة في آنٍ واحد وحقاً ما قاله صاحب كتاب (بطلة الحرية):

بحثت في وصفها وكمالها فسألت ربي (عزّ وجلّ) قال هي زين أب[2]
سألت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: هي خديجة الكبرى، سألت علي عليه السلام قال: هي

---

(١) زينب الكبرى بطلة الحرية.

(٢) وتعني كلمة زينب فهي مكونة من كلمتين (زين) و(أب) أي زينة أبيها. ويقول اللغوي المعروف الفيروز آبادي في كتاب القاموس ان كلمة زينب تعني شجرة عظيمة جميلة ذات رائحة طيبة.

ثمرة فؤادي، سألت الحسين عليه السلام قال: أخص نوابي، سألت السجاد عليه السلام قال: عالمة غير معلمة، سألت الجبال العالية قالت: هي اكثر رسوخاً، سألت أمواج المحيط قالت: هي اكثر ثورة، سألت الشمس قالت: هي اكثر ضياء، سألت القمر قال: هي اكثر نوراً، سألت كربلاء قالت: هي صابرة محتسبة، سألت الكوفة قالت: خطيبة قاطعة، سألت الشام قال: فاضحة للظالمين ومدافعة لحرم الحق المبين وحاملة لثورة الامام الحسين عليه السلام، سألت المدينة قالت فاطمة الثانية وبالحق على الظلم منادية وعن حرم الولاية محامية[1].

يقول العلامة الشيخ جعفر النقدي في كتابه زينب الكبرى: (ولقد كانت نشأة هذه الطاهرة الكريمة وتربية تلك الـدرة الثمينة زينب عليها السلام في حضن النبوة ودرجت في بيت الرسـالة، رضعت لبان الوحي من ثدي الزهراء البتول، وغذيت بغذاء الكرامة من كف ابن عم الرسول، فنشأت نشأة قدسية، وربيت تربية روحانية، متجلية جلابيب الجلال والعظمة، مترديه رداء العفاف والحشمة، فالخمسة اصحاب العباء عليهم السلام هم الذين قاموا بتربيتها وتثقيفها وتهذيبها، وكفاك بهم مؤدبين معلمين).

فحديثي عنها ينصب في المصائب التي عاشتها منذ ولادتها وحتى وفاتها، نعم. هي ورثت الايمان والطهارة والعلم والبلاغة والعبادة والاخلاق من امها الزهراء عليها السلام إلا انني ركّزت على جانب واحد من حياتها وهو ما اشرت اليه والا فإنّ كثيراً من المصادر التاريخية القديمة والحديثة تحدثت عن ذلك مجملاً وليس مفصلاً مع شديد الأسف أي عن حياة هذه البطلة إلاّ ان هذا الكتاب يوضّح الظلامات والآهات التي عاشتها هذه السيدة البطلة مقارنة بظلامات وآهات امها السيدة فاطمة عليها السلام.

ولا يفوتني ان اشكر سماحة الحجة الاستاذ السيد محمد علي الحلو (دام عزه) لاشرافه من البداية وحتى النهاية داعياً له بحق جدته الزهراء

---

(١) زينب الكبرى بطلة الحرية: ص٦.

وابنتها أن يمن عليه بالشفاء العاجل وبالعمر المديد خدمة لحوزة امير المؤمنين عليه السلام.

وكذلك أشكر الأخ العزيز علي الكناني الذي أخذ على عاتقه تنضيد حروف الكتاب.

وأحمده حمداً كثيراً وأشكره تعالى على نعمه عليَّ والحمد لله رب العالمين.

إبراهيم حسين البغدادي

١٠ محرم ١٤٣١ هـ

الهوية الشخصية

اسمها: زينب.

جدها: النبي محمد صلى الله عليه وآله.

أبوها: الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام.

جدتها: السيدة خديجة الكبرى عليها السلام.

أمها: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

أخوتها: الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة والعباس.

زوجها: عبد الله بن جعفر الطيار بن ابي طالب.

ولادتها: المشهور انها ولدت في الخامس من جمادي الاولى في العام الخامس من الهجرة في المدينة المنورة. وقيل أنها ولدت في السنة السادسة.

وفاتها: ١٥ رجب ٦٢ هـ.

من الذي سماها زينب؟

كانت من عادة أهل البيت عليهم السلام أنْ يوكلوا تسمية المولود الى رسول الله صلى الله عليه وآله ولما ولدت السيدة زينب عليها السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله في السفر فجاءت فاطمة الزهراء عليها السلام الى علي عليه السلام وقالت له: ماذا نسميها؟!

فقال علي عليه السلام: ما كنت لاسبق بإسمها رسول الله صلى الله عليه وآله فلنصبر حتى يرجع رسول الله صلى الله عليه وآله من سفره.

صبر علي وفاطمة عليهما السلام وبعد ثلاثة ايام رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من سفره وكعادته في كل عودة لا يستريح من وعثاء السفر حتى تكتحل عيناه برؤية ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ويدخل رسول الله صلى الله عليه وآله الى ذلك البيت العظيم، وقد ذكر صاحب كتاب (ناسخ التواريخ) عن كتاب (رياض المصائب) ان زينب بنت علي عليهما السلام لما ولدت اخبر النبي بذلك فأتى وقال لأبنته فاطمة عليها السلام: يا بنية، أأتيني بابنتك المولودة، فلما احضرتها أخذها وضمها الى صدره ووضع خده الكريم على خدها وبكى بكاءاً شديداً عالياً حتى سالت دموعه على خديه، فقالت الزهراء عليها السلام: لماذا بكاؤك يا رسول الله، لا ابكى الله عينيك يا ابتاه! فقال صلى الله عليه وآله: يا بنتاه يا فاطمة، اعلمي ان هذه البنت ستبتلى ببلايا وترد عليها مصائب شتى ورزايا!! ثم يقول امير المؤمنين عليه السلام: يا رسول الله، سمها!! فيجيب صلى الله عليه وآله: **اولاد فاطمة اولادي لكن انتظر نزول الوحي في تسميتها**.

فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، ان الله تعالى سلم عليك وقال لك سمِّ مولودة فاطمة زينب، فإنا كتبنا اسمها في اللوح المحفوظ[1].

فضمها الرسول صلى الله عليه وآله الى صدره وأخذ يقبلها ثم قال: أوصيكم بها، فهي شبيهة خديجة الكبرى عليها السلام[2].

ان تسمية زينب عليها السلام من قبل الله تبارك وتعالى وثبوت اسمها على اللوح المحفوظ يكشف عن عظمة هذا الاسم المبارك الذي كان في مصاف أسماء اخويها الحسن والحسين عليهما السلام فما يكون لأحد أن يقاس بهم.

أما كونها شبيهة خديجة الكبرى عليها السلام فلا يخفى على القارىء أن خديجة أول امرأة أسلمت وآمنت بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وقد ضَحّت بأموالها حتى كانت في الميزان تعدل سيف أمير المؤمنين عليه السلام وكانت تؤنس رسول

(١) تراجم أعلام النساء ج٢ص١١٦.
(٢) زينب الكبرى للديباجي نقلا عن الطراز المذهب ج١ص٤٤.

الله ﷺ في وحشته وتواسيه وتخفف آلامه، ولما دعا رسول الله ﷺ الناس الى الاسلام هاجمه المشركون وشجوا جبينه وأدموا ساقيه فأختفى رسول الله ﷺ عن الأنظار فخرج علي عليه السلام وخديجة في طلبه، فجعلت تجول في وادي مكة تحمل له الماء والخبز وهي تقول: من أحسن لي النبي المصطفى، من أحسن لي الربيع المرتضى[١].

أما زينب فكانت المرأة الوحيدة التي تواسي وتؤنس الحسين عليه السلام؛ وعندما وقع الحسين عليه السلام على الارض وهو يجود بنفسه جالت في وادي كربلاء ولكن لم يكن هناك خبز ولا ماء، فوضعت يديها على رأسها ونادت بأعلى صوتها فكسر دوي صوتها حاجز المكان والزمان وهي تقول: أما فيكم مسلم! ولما وقع بصرها على عمر بن سعد (لعنه الله) صرخت في وجهه وقالت: أيقتل الحسين وأنت تنظر اليه[٢].

اذاً هي ليست شبيهة بأمها فحسب، بل وبجدتها عليها السلام.

الحسين يفرح بولادتها:

روي ان بعد ولادة السيدة زينب عليها السلام جاء الامام الحسين عليه السلام ـ وكان عمره الشريف ثلاث سنوات[٣] ـ الى جده رسول الله ﷺ وقال: يا جداه،

---

(١) معالي السبطين ج٢ص٣٩.

(٢) زينب الكبرى بطلة الحرية ص١٩.

(٣) المعروف ان الامام الحسين عليه السلام ولد في اليوم الثالث من شهر شعبان. من السنة الرابعة للهجرة وكانت ولادة السيدة زينب عليها السلام في اليوم الخامس من شهر جمادي الاولى من السنة الخامسة الهجرية وعليه يكون عمر الامام الحسين ما يقارب عشرة أشهر وعليه فان هذه الرواية أما أن تكون ضعيفة أو أن الحسين تكلم مع جده ﷺ وهو في هذا السن كما حدث وثبت هذا للائمة عليهم السلام وخصوصاً مولانا الامام المهدي روحي له الفداء، فإن الرواية رواها السيد ابو القاسم الديباجي في كتابه زينب الكبرى بطلة الحرية مع عدم ذكر المصدر لها. نعم. ذكر هذه الرواية صاحب كتاب الخصائص الزينبية ولكن مكان جدها قال والدها. الا ان نقول ان الحسين عليه السلام كانت ولادته على رواية السنة (٣هـ) والسيدة زينب عليها السلام ولدت على الرواية التي تقول انها ولدت في السنة السادسة.

الله تبارك وتعالى رزقني أختاً، وما أن سمع رسول الله ﷺ هذا الحديث من الحسين عليه السلام تألم كثيراً وأجهش بالبكاء.

فسأله الحسين عليه السلام: لم تبكي يا جداه؟!

فقال رسول الله ﷺ: يا نور عيني، عما قريب ستعرف سر هذا البكاء!!

الى أن أتى جبريل عليه السلام يوماً الى رسول الله ﷺ وهو يبكي فسأله رسول الله ﷺ: لم تبكي يا جبريل؟

فقال جبريل: أبنتك زينب عليها السلام ستبتلى في حياتها بمصائب كثيرة أولها مصيبة فراقك ثم مصيبة فراق والدتها الزهراء عليها السلام ثم مصيبة قتل أبيها أمير المؤمنين عليه السلام ثم مصيبة أخيها الإمام الحسن عليه السلام ثم أعظمها وأشدها مصائب كربلاء وفيها يحدودب ظهرها ويشيب رأسها.

ماذا قالت الزهراء عليها السلام؟

سألته الزهراء عليها السلام عن سبب بكاؤه فشرح لها رسول الله ﷺ بعض المصائب التي سوف ترد على أبنتها زينب عليها السلام فقالت الزهراء عليها السلام: وما أجر من بكى على أبنتي زينب؟!

فقال رسول الله ﷺ: أجره كأجر من بكى على مصائب ولداي الحسن والحسين(1).

من خلال هذه الرواية نستشف أن زينب عليها السلام فضلاً عن أمها كانت تعلم ما يجري عليها فمن المؤكد أنّ السيدة الزهراء عليها السلام والإمام الحسين عليه السلام قد حدّثا زينب بهذا، ومن هنا اذا كانت السيدة الحوراء عليها السلام تعلم بكل ما سيحصل لها من فراق ومصائب لأهل بيتها فما عظمة هذه المرأة الصابرة التي لم نسمع عنها أنها جزعت ولو لحظة واحدة؟

فلو كان أحدنا يعلم بعشر مصائبها عليها السلام لجزع وتمنى الموت لذلك إلا

---

(١) الخصائص الزينبية ص١٥٥، ناسخ التواريخ ص٤٧.

أنها لم تترك صلاة الليل فضلاً عن الصلاة الواجبة في ليالي عاشوراء، فحقاً يجب ان تكون هذه السيدة البطلة أسوةً لنا ولنسائنا وكيف لا وهي التي تربّت في بيت النبوة وبيت الإمامة فجمعت من هذا وذاك فكانت زينب الحوراء، زينب العالمة، زينب المجاهدة، زينب أم عاشوراء بل وأم أخيها.

ومن هنا قد يسأل سائل: هل من المعقول أنّ طفلاً له من العمر ثلاث سنوات يفرح بولادة أخت له ويجيبه النبي صلى الله عليه وآله بهذا التفصيل مع صغر سنه؟

وفي مقام الجواب نقول: أن الأئمة عليهم السلام لهم حالاتهم الخاصة في النمو الجسدي والذهني وليس لحاجز العمر مدخلية في تحديد القدرات الذهنية والأبداعية، وقد أفاض الله تعالى على هؤلاء المصطفين أمكانيات لا ترتبط مسألة العمر مع قدراتهم، كما في عيسى بن مريم حيث تكلم في المهد: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] وكما في يحيى آتاه الله الحكمة في عمر الصبا: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] وكذلك الحال في الأئمة عليهم السلام كالإمام الجواد الخماسي من العمر والإمام الهادي السباعي من العمر والإمام العسكري والإمام الحجة فقد روى الشيخ الطوسي وغيره في كتاب الغيبة وهي رواية طويلة ننقل منها موضع الشاهد عن السيدة حكيمة عليها السلام حول ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الى ان تقول: فلما أن كان بعد أربعين يوماً أي بعد ولادة الإمام عجل الله فرجه وَجّه إليّ أخي (العسكري عليه السلام) فدعاني، فدخلت عليه فإذا أنا بصبي يتحرك ويمشي بين يديه، فقلت: سيدي، هذا أبن سنتين! فتبسم عليه السلام ثم قال: إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشأون بخلاف ما ينشأ غيرهم، وأن الصبي منا إذا أتى عليه شهر كان كمن يأتي عليه سنة، وأن الصبي منا ليتكلم في بطن أمه، ويقرأ القرآن، ويعبد ربه (عزّ وجلّ) وعند الرضاع تطيعه الملائكة وتنزل عليه صباح مساء.

الرؤيا التي رأتها زينب:

قضت السيدة زينب عليها السلام ما يقارب خمس سنوات من عمرها مع جدها الأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كانت ولادتها في اليوم الخامس من جمادي الاولى عام (٥هـ) وكانت وفاة النبي صلى الله عليه وآله في اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر عام (١١هـ)، فقد نقل في الطراز المذهب لما دنت الوفاة من النبي صلى الله عليه وآله رأى كل من أمير المؤمنين عليه السلام والزهراء عليها السلام رؤيا تدل على وفاته صلى الله عليه وآله فأخذا بالبكاء والنحيب، فجاءت زينب عليها السلام الى جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: يا جداه، رأيت البارحة رؤيا أنها انبعثت ريح عاصفة سودت الدنيا وما فيها وأظلمتها وحركتني من جانب الى جانب فرأيت شجرة عظيمة فتعلقت بها من شدة الريح فإذا بالريح قلعتها وألقتها على الأرض ثم تعلقت على غصن قوي من أغصان تلك الشجرة فقطعتها أيضاً فتعلقت بفرع آخر فكسرته أيضاً فتعلقت على أحد الفرعين من فروعها فكسرته أيضاً فاستيقظت من نومي!!

بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: **الشجرة جدك والفرع الأول أمك فاطمة والفرع الثاني أبوك علي والفرعان الآخران هما أخواك الحسنان، تسود الدنيا لفقدهم وتلبسين لباس الحداد في رزيتهم.**

التربية العلوية:

كانت زينب عليها السلام في طفولتها جالسة في حجر أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وهو عليه السلام يلاطفها بالكلام، فقال لها: بنية قولي واحد، فقالت:

واحد، ثم قال لها: قولي اثنين، فسكتت، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: تكلمي يا قرة العين، فقالت عليها السلام: يا أبتاه، ما أطيق أن أقول اثنين بلسان أجريته بالواحد!! فضمها (صلوات الله عليه) وَقَبَّلَ بين عينيها[1].

وقيل أنها كانت تتلو شيئاً من القرآن بمسمع من أبيها، فبدا لها أن

(١) زينب الكبرى نقلاً عن رياحين الشريعة ج٣:٥٤، الخصائص الزينبية ص٣٠٩.

تسأله عن تفسير بعض الآيات ففعل، ثم استطرد متأثراً بذكائها اللامع يلمح الى ما ينتظرها في مستقبل أيامها من دور ذي خطر، ولشدة ما كانت دهشته حين قالت له زينب عليها السلام في جد رصين: أعرف ذلك، اخبرتني به أمي، كيما تهيئني لغدي[1]، ولم يجد الأب ما يقول، فأطرق صامتاً وقلبه يخفق رحمة وحناناً.

زينب مع أمها فاطمة الزهراء عليها السلام:

يرى علماء النفس أن هناك ثلاثة أبعاد ذات أثر مباشر في أصل تكوين شخصية الإنسان صحيح أن هذه عوامل مؤثرة في الشخصية لكن مثل شخصية زينب قد تخطت هذه المراحل بعد أن أصطفاها الله تعالى لمهمة كربلاء ورسالة الفداء والتضحية:

١ـ الوراثة.

٢ـ التربية.

٣ـ البيئة.

في شخصية السيدة زينب عليها السلام أكتملت هذه الإبعاد الثلاثة فقد قضت السيدة الحوراء عليها السلام مع أمها السيدة الزهراء عليها السلام خمس او ست سنوات تقريباً، كما أن الزهراء عليها السلام لما بلغت السابعة من عمرها أو قاربت الثامنة فقدت حنان أمها السيدة خديجة عليها السلام وهي فترة مقاربة لفترة السيدة الحوراء عليها السلام؛ والمهم أن السيدة زينب عليها السلام عاشت تلك الفترة وهي مغمورة بعواطف أمها الهانية العطوفة وقد حَلَّت في أوسع مكان من قلب أم كانت أكثر أمهات العالم حناناً ورأفة وشفقةً بأطفالها.

والسيدة زينب الكبرى تعرف الجوانب الكثيرة من آيات عظمة والسيدة زينب الكبرى تعرف الجوانب الكثيرة من آيات عظمة أمها سيدة

---

(١) بطلة كربلاء (لبنت الشاطئ): ٢٥.

نساء العالمين وحبيبة رسول الله وقرة عينه وثمرة فؤاده، وروحه التي بين جنبيه، فقد فتحت السيدة زينب الكبرى عينيها في وجه أطهر أنثى على وجه الأرض، وعاشت معها ليلها ونهارها، وشاهدت من أمها أنواع العبادة، والزهد، والمواساة والإيثار، والإنفاق في سبيل الله، وإطعام الطعام مسكيناً ويتيماً وأسيراً.

وشاهدت حياة أمها الزوجية والإحترام المتبادل بينها وبين زوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإطاعتها له، وصبرها على خشونة الحياة وصعوبة المعيشة، إبتغاء رضا الله تعالى[1].

فكانت منذ ولادتها وحتى سن السادسة من عمرها الشريف تحت الرعاية المباركة لجدها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمها الزهراء عليها السلام فرضعت من ثدي العصمة والطهارة والوحي، وبعد وفاة جدها وأمها نمت وترعرعت ونشأت في مدرسة أبيها إمام المتقين وأكتسبت منه أعلى مقامات العلوم الإسلامية والإنسانية والمعنوية.

هذا بعض ما أردنا إيضاحه للقاريء اللبيب من حياة السيدة زينب الكبرى عليها السلام وسوف يتضح لنا أكثر من هذا خلال البحوث القادمة بعونه تعالى.

المصائب التي شاركت فيها أمها الزهراء عليها السلام:

ذكرنا فيما سبق أن السيدة الحوراء عليها السلام عاشت مع جدها وأمها خمس أو ست سنوات تقريباً وكانت عليها السلام ترى ذلك الحب والحنان المتبادل بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعته الزهراء عليها السلام وبين أمها السيدة فاطمة عليها السلام وبعلها وشريك حياتها أمير المؤمنين عليه السلام ومن هنا لا بد ان ندرس تلك السيرة تمهيداً للدخول في بحثنا الذي أشرنا إليه في المقدمة، وأود الإشارة الى

(١) زينب الكبرى من المهد الى اللحد ص٤٠.

أن الذي سوف نتناوله عن حياة الزهراء عليها السلام مع أبيها صلى الله عليه وآله ما بعد زواجها من الإمام علي عليه السلام أي الذي عاصرته السيدة زينب عليها السلام مع أمها السيدة فاطمة عليها السلام خلال حياة النبي صلى الله عليه وآله وما رأت مما كان يدور بين الأب وأبنته (سلام الله عليهم).

فاطمة وأبيها:

قلنا سابقاً أن ولادة السيدة زينب عليها السلام كانت في السنة الخامسة، والبعض يقول ان ولادتها كانت في السنة السادسة للهجرة، والمهم أنها ولدت بعد الحسن والحسين عليهما السلام فهي إذاً ثالث طفل للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فولدت في هذا البيت الطاهر، بيت الوحي والنبوة والإمامة.

فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ قوله تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [النور: ٣٦] فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله أي بيوت هذه؟ فقال: **بيوت الإنبياء.**

فقام إليه ابو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ وأشار الى بيت علي وفاطمة.

فقال النبي: **نعم، ومن أفضلها**(١).

في هكذا بيت تربت السيدة زينب عليها السلام ومن الواضح ان السيدة زينب عليها السلام بمواهبها وإستعدادها النفسي كانت تتقبل تلك الأصول التربوية، وتتبلور بها، وتندمج معها(٢).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغمر أطفال السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بعواطفه ويشملهم بحنانه، بحيث لم يُعهد مِن جدٍ أن يكون مغرماً بأحفاده الى تلك الدرجة.

---

(١) البرهان في تفسير القرآن. الدر المنثور للسيوطي.
(٢) زينب الكبرى من المهد الى اللحد ص٣٦.

وكان ﷺ إذا زارهم في بيتهم أو زاروه في بيته يعطر خدودهم وشفاههم بقبلاته، ويُلصق خده بخدودهم، ويعلم الله تعالى كم من مرة حظيت السيدة زينب عليها السلام بهذه العواطف الخاصة، وكم من مرة وضع الرسول الأقدس ﷺ خده الشريف على خد حفيدته زينب؟! وكم من مرة أجلسها في حجره، وكم من مرة تسلقت زينب أكتاف جدها الرسول؟!

والآن ننقل بعض الروايات التي تحدثت عن عمق العلاقة الروحية بين السيدة فاطمة الزهراء وأبيها النبي ﷺ: روي عن عائشة، قالت: ما رأيت من الناس أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة عليها السلام كانت إذا دخلت عليه رَحَّبَ بها وَقَبَّلَ يديها وأجلسها في مجلسه، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحبت به وقبّلت يديه.

ودخلت عليه في مرضه، فسارَّها فبكت ثم سارَّها فضحكت. فقلت: كنت أرى لهذه فضلاً على النساء، فإذا هي امرأة من النساء بينما تبكي إذا ضحكت. فسألتها فقالت: إذاً إني لبذرة.

فلما توفي رسول الله ﷺ سألتها: فقالت: إنه أخبرني أنه يموت فبكيت، ثم أخبرني أني أول أهله لحوقاً به فضحكت[1].

وعن أبي ثعلبة الخشني، قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدِم من سفره يدخل على فاطمة عليها السلام فإذا دخل عليها قامت إليه واعتنقته وقبلت بين عينيه[2].

ورووا عن عائشة: إن فاطمة عليها السلام كانت إذا دخلت على رسول الله ﷺ قام لها من مجلسه وقبّل رأسها وأجلسها مجلسه، وإذا جاء إليها لقيته وقبّل كل واحد منهما صاحبه وجلسا معاً[3].

ولا أدري ماذا كان يفعل النبي ﷺ للسيدة زينب عليها السلام حينما كان

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام ج٨ص١٠٢.
(٢) نفس المصدر ص١١٣.
(٣) نفس المصدر ص١١٤.

يراها عند دخوله لبيت السيدة فاطمة عليها السلام وعند ذهاب السيدة فاطمة الى بيته صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا أدري ماذا كانت تفعل السيدة زينب عليها السلام وبماذا تفكر عندما ترى هذه المشاهد العظيمة ومن المؤكد أن زينب عليها السلام كانت تفعل ذلك لأبيها أمير المؤمنين عليه السلام لأنها فتحت عينيها الطاهرتين على هذه المشاهد الأبوية وكيف لا، وأن المربية الأولى لها هي سيدة نساء العالمين.

وحاشا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُفرّق بين الحسنين عليهما السلام وبين أختهما السيدة زينب عليها السلام عندما كان يلاعبهما ويلاطفهما ويعطف عليهما من حنان النبوة والأبوة، فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم ينزعج لبكاء الحسين عليه السلام كثيراً، وهل هو لا ينزعج من بكاء السيدة زينب عليها السلام وهو يعلم أنها سوف تبكي كثيراً حتى يشيب رأسها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم.

فهل كان صلى الله عليه وآله وسلم يترك زينب عليها السلام تنظر إليه عندما كان يضع الحسن والحسين عليهما السلام في حجره الشريف، ولكن لا ندري أين وكيف يجلس السيدة الحوراء عليها السلام؟

وهنا أود الأشارة الى ما قاله السيد القزويني حيث قال: ويؤسفنا أنه لم تصِلْ الينا تفاصيل أو عينات تاريخية تنفعنا في هذا المجال، وحول السنوات الخمس التي عاشتها السيدة تحت ظل الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وكم يؤلمني ان اقول بأن التاريخ قد ظلم السيدة زينب كما ظلم أباها وأمها وأسرتها أجمعين.

إذ لم يعبأ بها التأريخ كما ينبغي، ولم يتحدث عنهـا كما تقتضيه وتتطلبه شخصية سيدة مثل زينب الكبرى عقيلة الهاشميين، حفيدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد.

أن رأي السيد القزويني هذا صائبٌ، لأن السيدة زينب عليها السلام ولدت بعد الإمام الحسين عليه السلام بأقل من سنة وكانت في ذلك البيت الفاطمي العلوي لا تفارقهم ولا يفارقونها بطبيعة الحال، ولذا وجدت صعوبة في الحصول على المصادر المطلوبة، نعم. توجد بعض المصادر لمجموعة من الكتّاب المعاصرين إلا أنهم اكثر ما يستندون الى مصدر واحد وهو كتاب زينب الكبرى للعلامة الشيخ جعفر النقدي.

ولكن ظهر قدسها ونورها وتلألأ في سماء كربلاء فكلما ذكر ذاكر اسم الحسين وكربلاء قرنت زينب عليها السلام معهما ولا يخلو كتاب يخص الإمام الحسين عليه السلام او كربلاء او الطف إلا وكانت زينب عليها السلام لها الحظ الوافر منه.

وعلى أي حال فإن السيدة زينب عليها السلام عاشت مع ابيها فترة ليست بالقليلة حيث استشهد الإمام علي عليه السلام في سنة (٤٠هـ) وكان عمرها آنذاك خمس وثلاثون سنة تقريباً كما سنبين ذلك إن شاء الله تعالى.

والآن سوف نستعرض الاحداث التي حدثت بين السنة الخامسة وهي سنة ولادتها الى السنة الحادية عشرة وهي سنة أستشهاد أمها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وهي الفترة التي قضتها مع جدها صلى الله عليه وآله وسلم.

١. غزوة بني المطلق: ١٩. شعبان ٥هـ.

هذه الغزوة ذكرها أكثر المؤرخين والمؤلفين في السيرة من حوادث السنة السادسة للهجرة وفي الشهر السابع منها بالذات ، ونهج على ذلك ابن هشام في سيرته وابن كثير في تاريخه والطبري وغيرهم، ولكن ابن سعد في طبقاته ذكرها من حوادث السنة الخامسة وأيده في ذلك ابو الفداء في تاريخه، ورجّح ذلك بعض المحدثين منهم الزرقاني كما جاء في التعليقة على سيرة ابن هشام[1]، ولست الآن بصدد تحقيق هذه الغزوة فإن تحقيقها موكول الى

(١) سيرة المصطفى ص٤٧٧.

كتب التاريخ المقررة لذلك، ولكن المهم ان هذه الغزوة سواء حدثت في السنة الخامسة او السادسة فإنها حدثت في حياة السيدة زينب عليها السلام.

٢ـ غزوة الخندق (الاحزاب): ١٧ـ شوال سنة ٥هـ.

وفي هذه الغزوة قال النبي صلى الله عليه وآله لما برز الإمام علي عليه السلام لعمرو بن ود العامري: برز الإيمان كله الى الشرك كله[1].

وعن سفيان الثوري بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: لمبارزة علي بن ابي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل أعمال أمتي الى يوم القيامة.

في هذه الغزوة كان عمر السيدة زينب عليها السلام خمسة أشهر وعشرة أيام تقريباً وقد قتل أبوها الشرك كله بتلك الضربة التي وصفها النبي صلى الله عليه وآله بأفضل أعمال أمتي الى يوم القيامة وجاء منتصراً من المعركة والزهراء عليها السلام وطفلتها الطاهرة يفرحان بقدومه، ومن خلال الروايات المتقدمة من أن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا جاء من سفر او غزوةٍ أول بيت يدخله من بيوته هو بيت فاطمة عليها السلام ولكن لا ندري ماذا فعلاً النبي وخليفته عندما استقبلتهما زينب عليها السلام؟ ويمكن من خلال الروايات التي تبين كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستقبل الإمامين الحسنين عليهما السلام وبهذه الصورة وبهذا الحب والحنان يستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته السيدة زينب عليها السلام.

٣ـ صلح الحديبية: مطلع شهر ذي القعدة سنة ٦هـ.

وهنا ننقل رواية رواها الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد:

ولما رأى سهيل بن عمرو توجه الأمر عليهم، ضرع الى النبي عليه السلام في الصلح ونزل عليه الوحي بالإجابة إلى ذلك وان يجعل أمير المؤمنين عليه السلام كاتبه يومئذ والمتولي لعقد الصلح بخطه.

فقال له النبي عليه السلام: اكتب يا علي: (بسم الله الرحمن الرحيم).

---

(١) المصدر السابق: ٥٠١.

فقال سهيل بن عمرو: هذا كتاب بيننا وبينك يا محمد فافتحه بما نعرفه واكتب باسمك اللهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لولا طاعتك يا رسول الله لما محوت (بسم الله الرحمن الرحيم)، ثم محاها وكتب: باسمك اللهم.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله اكتب: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو).

فقال سهيل: لو أجبتك في الكتاب الذي بيننا الى هذا، لأقررت لك بالنبوة!

فسواء شهدت على نفسي بالرضا بذلك او أطلقته من لساني، أمح هذا الاسم وأكتب: (هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله).

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنه والله لرسول الله على رغم أنفك.

فقال سهيل: اكتب أسمه يمضي الشرط.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك يا سهيل كف عن عنادك.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أمحها يا علي.

فقال: يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة، قال له: فضع يدي عليها، فمحاها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: ستدعى إلى مثلها فتجيب على مضض.

ثم تمم أمير المؤمنين عليه السلام الكتاب[1].

وروى صاحب سيرة سيد المرسلين عن الكامل في التاريخ وعن بحار الانوار أن النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي أنك أبيت أن تمحو أسمي من النبوة فوالذي بعثني بالحق نبياً لتجيبن أبناءهم الى مثلها وأنت مضيض مضطهد[2].

---

(١) الارشاد ص٩٢.

(٢) سيرة سيد المرسلين ج٢ص٣٣٩.

وفعلاً أبتلي علي عليه السلام تلميذ النبي الأول بمثل هذه التجربة المرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد شاركت أباها بهذا الابتلاء السيدة زينب عليها السلام من حين شهادة أمها عليها السلام والى وفاتها.

٤ـ فتح خيبر: (٢٤ـ رجب ٧هـ).

لما بلغ الجهد بالمسلمين ونفد اكثر زادهم قال النبي صلى الله عليه وآله بصوت رفيع سمعه اكثر المسلمين: **والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**، فتطاولت لها قريش ورجا كل واحد أن يكون صاحب الراية[1].

وقتل أمير المؤمنين عليه السلام مرحب وهزم اليهود ودخلوا حصن القموص، وأغلقوا بابه عليهم دونه، فصار أمير المؤمنين عليه السلام إليه فعالجه حتى فتحه، وأهتز الحصن بشده، حتى أن صفية بنت حيي بن أخطب قالت: أرتجف بي السرير فسقطت لوجهي، فشجني جانب السرير[2].

ثم جعل أمير المؤمنين عليه السلام الباب جسراً فعبر عليه وظفروا بالحصن، ولما أنصرفوا من الحصن أخذه أمير المؤمنين عليه السلام بيمناه، ورمى به فوق رأسه أربعين ذراعاً، وحاول أربعون رجلاً رفعه فما أستطاعوا[3]، وفي نفس هذا اليوم عاد جعفر بن ابي طالب من الحبشة.

٥ـ فدك.

بعد أن فتح رسول الله صلى الله عليه وآله خيبر أصبحت خيبر ملكاً للمسلمين لأنه أستولى عليها بالحرب، وفدك للنبي صلى الله عليه وآله لأنه تم الصلح عليها، وقد وهبها النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء عليها السلام في حياته من السنة السابعة للهجرة.

---

(١) سيرة المصطفى ص٥٥٠.
(٢) منتهى الامال ج١ص١١٢.
(٣) نفس المصدر.

٦ـ وقعة مؤتة : (٦ج١ / ٨هـ).

في هذا العام من الهجرة كانت وقعة مؤتة وفيها أستشهد جعفر بن ابي طالب عليه السلام وهو عم السيدة زينب عليها السلام ولها من العمر ثلاث سنين وأستشهد مع عمها زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة (رضوان الله عليهم).

ويروي ابن بابويه عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قوله: إن الحق عزّ وجلّ أوحى الى النبي صلى الله عليه وآله إني شكرت لجعفر بن ابي طالب أربع خصال وقبلتها منه، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسأل عنها، فقال: يا رسول الله، لولا أن الله عز وجل أخبرك بها لما أبديتها، أولاها أني لم أشرب شراباً قط، لأني أعلم أن الشراب يذهب بالعقل، والثانية: أني لم أكذب قط، فالكذب يذهب بالرجولة والمروءة، ولم أزن بحرم قط، لأن من زنى بحرم آخر زني بحرمه، ولم أعبد صنماً قط، لأنه لا يتصور منه نفع أو ضرر، فربت رسول الله صلى الله عليه وآله على كتفه وقال: إنك لأهل لأن يجعل الله لك جناحين تطير بهما مع الملائكة[1].

٧ـ فتح مكة : (٢٠ رمضان ٨هـ).

روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما كان مهاجراً الى المدينة التفت بوجهه نحو مكة وقال: **والله يعلم أني أحبك، ولولا أن أهلك أخرجوني عنك لما آثرت عليك بلداً، ولا أبتغيت بك بدلاً، وإني لمغتم على فراقك**[2].

وبعد هذا الفراق الطويل فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة من دون قتال وهنا عفا رسول الله صلى الله عليه وآله عن أهل مكة وقال قولته المشهورة **(أذهبوا فأنتم الطلقاء)** وقد ذكّرت السيدة زينب عليها السلام حاكم الشام يزيد (عليه اللعنة) بذلك كما سيأتي مفصلاً حيث قالت له: **أمِن العدل يا بن الطلقاء...**

وحصل علي عليه السلام على مناقب كثيرة في فتح مكة فقد صعد على كتف رسول الله صلى الله عليه وآله وكسر الصنم الاعظم وقذف به من على ظهر الكعبة، وكان

(١) منتهى الامال ج١ ص١١٥.
(٢) المصدر السابق ج١ ص١٢١.

لواء المسلمين بيده[١].

وهنا ينقل الشيخ القرشي عن المغازني يقول: كما حضرت (سلام الله عليها) أي فاطمة مع أبيها في فتح مكة، وشاهدت الفتح المبين، وخضوع القرشيين وذلتهم له[٢].

وجاء في سيرة الإئمة الأثني عشر تحت عنوان الزهراء في فتح مكة: لقد أحست سيدة النساء بالغبطة والسعادة وقد رأت القسم الأكبر من الجزيرة يخضع لسلطان الإسلام ويدين برسالة أبيها...[٣].

وفي موضع آخر يقول: وليس بغريب على الزهراء عليها السلام إذا وقفت في تلك اللحظات التي رأت فيها أبا سفيان أكبر زعماء قريش يتململ ذليلاً بين أيدي المسلمين لينتزع من أحدهم وعداً بمساعدته على رسول الله صلى الله عليه وآله ليمدد أمد الهدنة بينه وبين قريش وأحلافها، ليس بغريب عليها إذا وقفت مزهوة بأنتصار الحق على الباطل والإيمان بالله على الشرك والضلال...[٤].

وفي موضع آخر أيضاً يقول: وتمنت سيدة النساء أمها خديجة أن تشهد هذا الموقف لترى أولئك الطغاة قد تركتهم قبل سنوات قليلات يلاحقون زوجها العظيم من مكان لآخر بكل أنواع الأذى لتراهم يلوذون به ويتململون بين يديه......[٥].

وهنا نسأل هل من المعقول أن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تركت أولادها في المدينة؟!

وهل من المعقول أن السيدة الزهراء عليها السلام تستطيع مفارقتهم[٦] لثلاثة

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ص٣٣٤.
(٢) حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء ص٢٥٨.
(٣) سيرة الأئمة ج١ ص ١٠٠.
(٤) المصدر السابق ج١ ص١٠١.
(٥) المصدر السابق ج١ ص١٠٣.
(٦) فقد روي ان الرسول صلى الله عليه وآله خرج من المدينة في اليوم الثاني او العاشر من شهر رمضان=

أشهر تقريباً؟!

فهي لم تفارقهم حتى بعد استشهادها عليها السلام كما سنوضح ذلك في بحث آخر، فإذاً أما أن السيدة زينب عليها السلام كانت مع أمها عليها السلام وأيضاً شاهدت ذلك الفتح المبين، ورأت كيف أن جدها رسول الله صلى الله عليه وآله عفى عن الطلقاء وذكّرت يزيد (عليه اللعنة) بذلك وقد مر علينا سابقاً أن أولاد الإنبياء والأولياء ينشأون بخلاف ما ينشأ غيرهم، وقد روي أن السيدة فاطمة الزهراء كانت تتحدث مع أمها وهي في بطنها.

وأما إذا استبعدنا حضورها أو حضور السيدة فاطمة عليها السلام فمن الطبيعي أن النبي صلى الله عليه وآله أو علياً حدثا فاطمة بذلك وكانت السيدة زينب عليها السلام وقتئذ حاضرة، فإذن النتيجة تكون هكذا أما أن تكون حاضرة، او سمعت ذلك من جدها أو من أبيها وأمها (صلوات الله عليهم) فضلاً عن الحسن والحسين عليهما السلام.

٨. فرض الحج على المسلمين: (٨ ذو القعدة ٨هـ).

كان عمر السيدة زينب عليها السلام ثلاث سنوات وستة أشهر تقريباً وفرض الحج على المسلمين، فهل من المعقول أن السيدة زينب، لم تعلم بذلك مع ما قلناه في النقطة السابقة؟! ويجب أن لا ننسى أن الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام الذي أعطى المناهج التربوية للأجيال، وأضاء طرق التربية الصحيحة للقرون لا بد وأن يبذل أهتماماً بالغاً وعنايةً تامةً في تربية عائلته ويمهد لهم السبيل حتى ينالوا قمة الأخلاق والفضائل، وخاصة حينما يجد فيهم المؤهلات والاستعداد لتقبّل تلك التعاليم التربوية.

ومن الواضح أن السيدة زينب بمواهبها وأستعدادها النفسي كانت تتقبل تلك الأصول التربوية وتتبلور بها، وتندمج معها.

٩. فتح حنين وهوازن سنة ٨ للهجرة.

=ودخل المدينة في الايام الاخيرة من شهر ذي القعدة.

١٠ـ ولادة سيدنا أبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية (رضوان الله عليها).

فقد روي أن ولادته كانت في نهاية السنة الثامنة، وقد روى الطبري واليعقوبي أنه ولد في ذي الحجة من السنة الثامنة. وقد شاركت السيدة زينب عليها السلام فرح رسول الله ﷺ وأمها بولادة خالها ابراهيم بن رسول الله ﷺ فعاشت تلك الأجواء السعيدة التي طالما كان رسول الله ﷺ ينتظرها ولقد خففت ولادة أبراهيم الكثير من الأحزان التي كان رسول الله ﷺ يعاني منها بسبب أفتقاده لأولاده الستة، وأشعلت في نفس النبي ﷺ بصيصاً من الأمل، ولكن هذا البصيص من الأمل سرعان ما غاب بعد ثمانية عشر شهراً وأنطفأ[1] كما سيتضح.

١١. غزوة تبوك، الثالث من شهر رمضان سنة ٩هـ.

لقد كان من أبرز فضائل الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام أنه شارك في جميع المعارك ولازم رسول الله ﷺ في جميع غزواته وكان هو حامل لوائه في تلك المعارك والغزوات ما عدا تبوك حيث بقي في المدينة بأمر من رسول الله ﷺ.

١٢ـ أمر رسول الله ﷺ بهدم وحرق اثناء عودته من تبوك مسجد ضرار، فهدم وأحرق، وأتخذ كناسة تطرح فيه الجيف والاقذار[2]، ونزل في شأنه قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ [التوبة: ١٠٧].

١٣. إرجاع أبي بكر عن إبلاغ سورة براءة سنة٩ هـ، وتولية علي عليه السلام بها.

فعن المفيد: ما جاء في قصة البراءة وقد دفعها النبي ﷺ لينبذ المشركين

(١) سيرة سيد المرسلين ج٢: ٥٨٢.

(٢) منتهى الآمال ج١: ١٣٠.

فلما سار غير بعيد نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: ان الله يقرئك السلام ويقول لك لا يؤدي عنك الا انت أو رجل منك فاستدعى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وقال له: اركب ناقتي العضباء والحق ابا بكر فخذ براءة من يده وامض به الى مكة فأنبذ عهد المشركين إليهم. وخير أبا بكر بين أن يسير مع ركابك أو يرجع ألي.

فركب أمير المؤمنين عليه السلام ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله العضباء وسار حتى لحق أبا بكر فلما رآه فزع من لحوقه به وأستقبله وقال: فيم جئت يا أبا الحسن؟ أسائر معي أنت أم لغير ذلك؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن ألحقك فأقبض منك الآيات من براءة وأنبذ بها عهد المشركين إليهم، وأمرني أن أخيرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه فقال: بل أرجع إليه، وعاد إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما دخل عليه قال: يا رسول الله إنك أهلتني لأمر طالت الأعناق فيه إلي فلما توجهت له رددتني عنه مالي أنَزَلَ فيَّ قرآن؟

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: لا، ولكن الأمين هبط إلي عن الله (جل جلاله) بأنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك وعلي مني، ولا يؤدي عني إلا علي. في حديث مشهور[1].

١٤. وفاة سيدنا أبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله: (١٨ /رجب/ ١٠هـ).

كان عمر السيدة زينب خمس سنوات وشهرين تقريباً وتوفي خالها سيدنا ابراهيم عليه السلام.

ويروي أبن شهر آشوب رحمه الله عن ابن عباس قوله:

كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعلى فخذه الأيسر ابنه ابراهيم وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي وهو تارة يقبّل هذا وتارة يقبّل هذا، إذ هبط جبرئيل بوحي

---

(١) الأرشاد: ٥٤.

من رب العالمين.

فلما سرى عنه قال: أتاني جبرئيل من ربي فقال: يا محمد ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول: لست أجمعهما فافد أحدهما بصاحبه فنظر النبي ﷺ الى ابراهيم فبكى، ونظر الى الحسين فبكى، وقال: ان ابراهيم أمّه أمة ومتى مات لم يحزن عليه غيري وام الحسين فاطمة وابوه علي بن عمي لحمي ودمي ومتى مات حزنت ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت أنا عليه وأنا أوثر حزني على حزنهما يا جبرئيل يقبض ابراهيم، فديته للحسين، قال: فقبض بعد ثلاث، فكان النبي ﷺ اذا رأى الحسين مقبلاً قبّله وضمّه الى صدره ورشف ثناياه وقال: فديت من فديته بابني ابراهيم.

وروي عن الصادق عليه السلام انه قال: فلما مات ابراهيم بن رسول الله ﷺ هملت عين رسول الله بالدموع ثم قال النبي ﷺ: **تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وانّا بك يا ابراهيم لمحزونون**، ثم رأى النبي ﷺ في قبره خللاً فسوّاه بيده، ثم قال: **اذا عمل احدكم عملاً فليتقنه**، ثم قال: الحق بسلفك الصالح عثمان بن مظعون[1].

ومن الطبيعي ان السيدة زينب عليها السلام قد سمعت بذلك وعرفت كم كان رسول الله ﷺ يحب الحسين عليه السلام حتى فداه بولده ابراهيم عليه السلام، فقد شاركت السيدة زينب عليها السلام حزن بيت النبوة وعلمت علم اليقين ان ذرية رسول الله ﷺ قد قررها الباري (عزّ وجلّ) من أمها فاطمة عليها السلام وهذه مزية ميز الله تعالى به خاتم رسله محمد بن عبد الله ﷺ عن سائر الأنبياء، وكرامة منحها الله تعالى ذرية فاطمة عليها السلام الى يوم القيامة.

وقد روي في كتاب ينابيع المودة عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي، وكل ولد أم فإن عصبته لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإني أنا أبوهم وعصبتهم.

---

(١) منتهى الآمال ج١: ١٥٢.

وعن فاطمة بنت الحسين عن أبيها عن جدتها فاطمة الكبرى (سلام الله عليها) قالت: قال أبي رسول الله ﷺ: كل بني أم ينتمون الى عصبته إلا ولد فاطمة، فإنا وليهم وعصبتهم.

وأيضاً في ينابيع المودة عن جعفر بن محمد، عن ابيه عن جابر قال: كنت أنا والعباس جالسين عند النبي ﷺ إذ دخل علي عليه السلام فسلّم فرد النبي ﷺ السلام وقام إليه وعانقه وقبّل ما بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: يا رسول الله أتحبه؟ فقال: يا عم والله، والله أشد حباً له مني، أن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا.

ومن هذه الذرية الطاهرة سيدتنا زينب عليها السلام ولا ندري كيف كان يتعامل رسول الله ﷺ مع هذه السيدة الجليلة، وهو كلام السيد القزويني الذي أسف على التاريخ لأنه لم يحدثنا عن تلك السنوات التي عاشتها السيدة زينب عليها السلام تحت ظل الرسول الأعظم ﷺ.

نعم كانت تعلم أنها من ذرية الرسول ﷺ فقد عاشت ذلك الحنان الأبوي من رسول الله ﷺ وعلمت كم كان النبي ﷺ يقبّل أخويها الحسن والحسين عليهما السلام وهذا ماقالته عليها السلام في خطبتها على جموع أهل الكوفة:

أتدرون أي كبدٍ لرسول الله فريتم!! وأي دمٍ له سفكتم!! وأي كريمةٍ له أبرزتم.

هذه هي زينب، وما أدراك ما زينب؟! وما أدراك ما شأنها؟! وهل يمكن أن يفي في ذكر مكانتها أنها عقيلة بني هاشم؟!

عقيلة كل العرب؟!

عقيلة البشر بعد أمها؟! كلا وحاشا.

١٥. تحرك النبي ﷺ لحجة الوداع: (٢٥ ذو القعدة ١٠هـ).

١٦. دخول النبي ﷺ الى مكة (٣ ذو الحجة ١٠ هـ).

١٧ـ غدير خم ونصب أمير المؤمنين عليه السلام : (١٨ـ ذو الحجة ١٠هـ).

في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام من السنة العاشرة للهجرة وقعت بيعة الغدير وكانت هذه الواقعة بعد حجة الوداع وهي الحجة الاخيرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان يوم خروجه صلى الله عليه وآله من المدينة في يوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة في السنة نفسها وكان يوم الثالث من شهر ذي الحجة وصوله صلى الله عليه وآله الى مكة أي وصلها بعد سبعة أيام أو ثمانية أيام حسب رؤية الهلال ومن هنا فإن الفترة التي قضاها رسول الله صلى الله عليه وآله خارج المدينة ما يقارب (٣٠) يوماً. ويروي الشيخ القمي:

وقدم علي عليه السلام من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة فدخل على فاطمة عليها السلام، وهي قد أحلّت فوجد ريحاً طيباً ووجد عليها ثياباً مصبوغة فقال: ما هذا يا فاطمة؟ ولماذا تحلين قبل وقت الحل؟

فقالت: أمرنا بهذا رسول الله فخرج علي عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله مستفتياً، فقال: يا رسول الله انّي رأيت فاطمة قد أحلّت وعليها ثياب مصبوغة!! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا أمرت الناس بذلك فأنت يا علي بِمَ أهللت (بماذا أحرمت)؟ قال: يا رسول الله إهلال كإهلال النبي، فقال لَه رسول الله صلى الله عليه وآله: قرّ على إحرامك مثلي وأنت شريكي في هديي[1].

إذاً السيدة فاطمة الزهراء كانت موجودة وشهدت بيعة الغدير.

أما الصحابة الذين شهدوا بالغدير فالمشهور منهم مائة ونيف وإليك أسماؤهم حسب الحروف:

ونحن ننقل هنا ما يخص بحثنا هذا وحسب الترقيم الذي ذكره.

١٤ـ أسماء بنت عميس.

١٥ـ أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله.

٣٤ـ الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

---

(١) منتهى الامال ج١ ص١٣٦.

٣٥ـ الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

٦١ـ عائشة بنت ابي بكر.

٩٢ـ فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وآله[1]، وفي موسوعة الغدير تحت رقم (٩٦)[2].

والمهم في بحثنا هو ان السيدة زينب عليها السلام هل حضرت وشهدت الواقعة أم لا؟

ان جميع المصادر التاريخية القديمة والحديثة لم تشر الى ذلك، ولا ندري ما هو السر في ذلك!

نعم، نعلم أنها كانت في الخامسة من عمرها ولكن ماذا نقول بالنسبة للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، ألم يكن عمر الإمام الحسين أكبر من السيدة زينب عليها السلام بسنة أو أكثر بقليل؟!

سألت أحد علماء التاريخ ومن المؤرخين المعاصرين سألته اين كانت السيدة زينب عليها السلام يوم المباهلة مع خروج العدد الكبير الى الصحراء لمشاهدة ذلك الحدث كما سنذكر ذلك مفصلاً.

فقال (اطال الله في عمره الشريف): أحتمل أنها بقيت عند أسماء أو أم سلمة لأنها كانت طفلة ولأن المباهلة خاصة بالمعصومين عليهم السلام الذين هم أصحاب الكساء فقط.

أنا لا أقول أنها معهم، بل أردت أن أعرف ان السيدة زينب عليها السلام هل شاهدت ذلك الحدث؟! مع أنه لم يكن بالحدث البسيط، بحيث يصل الأمر الى نزول جبرئيل عليه السلام لِيُبلغ النبي صلى الله عليه وآله بالمباهلة.

والله (جل وعلا) يعلم ماذا سوف يحدث بعد غياب رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل بيته عليهم السلام فأراد الله سبحانه وتعالى أن يقيم الحجة عليهم بعدة أمور

---

(١) الامام علي من المهد الى اللحد ص١٦١.

(٢) موسوعة الغدير ج١ ص١٣٩.

لبيان فضلهم على الجميع وكانت المباهلة وآيتها واحدة من هذه الأمور، ومن يعاند ويكذب كما حصل هذا فعلاً فسيذهب به الى جهنم وبئس المصير.

ولكن في حجة الوداع كما في بعض المصادر ـ ان السيدة أسماء وأم سلمة ممن شهدن واقعة الغدير فعند من بقيت السيدة زينب؟!

هل من المعقول ان أهل البيت عليهم السلام يتركوها بمفردها في المدينة؟! فإن التاريخ لم يجبنا عن هذا، ولكن من خلال القرآئن العقلية قد يثبت ان السيدة زينب عليها السلام كانت مع أهل بيتها عليهم السلام في حجة الوداع ومن ثم في بيعة الغدير، وإلا فهل من المعقول أن السيدة فاطمة الزهراء تستطيع ان تفارقها كل هذه الفترة او أنها عليها السلام تأخذ الحسن والحسين عليهما السلام وتتركها؟!

وإذا قال قائل أنها لو كانت حاضرة لروي عنها حديث الغدير كما روي عمّن حضر؟!

والجواب على ذلك من يقول ان السيدة زينب عليها السلام لم تروي حديث الغدير؟! وهل كل ما روي عن أهل البيت عليهم السلام وصل إلينا!

قال أحد المؤرخين: لقد وعت سيدة النساء زينب عليها السلام وهي في فجر الصبا هذه البيعة لأبيها، وان جدها قد قلّده بهذا المنصب الخطير لسلامة الأمة....

فهو يقول وعت ولم يقل شهدت، لانه لم يعثر على رواية تؤيد حضورها ولكن نقول اين كانت؟ وهذا ما نريد معرفته من التاريخ الذي ظلمها.

١٨ـ يوم المباهلة ونزول جبرئيل آية التطهير وتصدق الإمام علي عليه السلام بالخاتم؛ (٢٤ـ ذو الحجة ١٠هـ).

اتفق علماء المسلمين من السنة والشيعة على مباهلة الرسول صلى الله عليه وآله مع

نصارى نجران وهنا ننقل بعض الرواية للأختصار:

... وطالت المناظرة فيما بينهم ولجّو في الخصومة، فنزل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

فقالوا للنبي ﷺ نباهلك غداً وانصرفوا وقال ابو حارثة لأصحابه: انظروا، فإن كان محمد غدا بولده وأهل بيته فاحذروا مباهلته، وان غدا بأصحابه فباهلوه فانه على غير شيء، فذهب رسول الله ﷺ صباحاً الى بيت علي عليه السلام فأخذ بيد الحسن والحسين وخرج من المدينة وبين يديه علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام تتبعه.

فلما رأى ذلك رؤساء نجران قال ابو حارثة: من هؤلاء الذين معه؟ قالوا: هذا ابن عمه زوج ابنته يتقدمه، وهذان ابنا ابنته وهذه بنته اعز الناس عليه وأقربهم الى قلبه وتقدم رسول الله ﷺ فجثا على ركبتيه فأخذ السيد والعاقب أولادهم وجاؤوا للمباهلة.

قال ابو حارثة: جثا والله كما جثا الانبياء للمباهلة، فكع ولم يقدم على المباهلة، فقال له السيد: اين تذهب؟ قال: لا اني لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة وانا اخاف ان يكون صادقاً فلا يحول والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء، وفي رواية اخرى انه قال: اني لأرى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة.

ثم جاء ابو الحارثة الى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم انّا لا نباهلك ولكن نصالحك، فصالحنا على ما ننهض له فصالحهم على الفي حلة قيمة كل حلة اربعون درهماً وعلى عارية ثلاثين درعاً وثلاثين رمحاً وثلاثين فرساً ان كان حربٌ فكتب لهم بذلك كتاباً فانصرفوا راجعين الى بلادهم.

قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده أن العذاب قد تدلى على نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم ناراً ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا[١].

ويقول الشيخ القرشي: واحتشدت الجماهير واشرأبت الاعناق تراقب الحادث الخطير، وساد الوجوم، وصار الكلام همساً[٢].

ويقول قبل هذا: نزلت الآية الكريمة في حادثة تأريخية بالغة الخطورة[٣].

تحدثنا سابقاً حول هذه القصة وحول مشاهدة السيدة زينب عليها السلام لذلك، وهنا أحتمل احد الكُتاب ان السيدة زينب عليها السلام بقيت عند أسماء او أم سلمة.

لماذا لا نحتمل ان السيدة زينب عليها السلام شاهدت الحدث ولكن لم تكن مع المباهلين من آل بيت محمد ﷺ فإن الجماهير المحتشدة التي كانت تراقب الحدث التاريخي الخطير كما يقولون.

بل ونحتمل ان السيدتان أم سلمة وأسماء ايضاً كانتا تنظران الى هذا الحدث، وإذا لم تحضر السيدة عليها السلام فأقله أنها سمعت بذلك او علمت منذ خروج أسرتها مع جدها النبي ﷺ وإذا كانت كذلك فإنها عاشت تلك اللحظات القدسية منذ طفولتها وكانت تدرك ان هذا كان بأمر من الله (جلا وعلا)، وكيف لا، وهي التي سكتت عندما قال لها الإمام علي عليه السلام وهي طفلة وكان يلاطفها بالكلام: قولي أثنين. فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام تكلمي يا قرة العين، فقالت عليها السلام: يا أبتاه، ما أطيق أن أقول أثنين بلسان أجريته

---

(١) منتهى الامال ج١ ص١٣٢.
(٢) حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام ص١١٤.
(٣) نفس المصدر: ١١٣.

بالواحد!! فضمها (صلوات الله عليه) وقبّل بين عينيها[1].

وقد ذكر الشيخ جعفر النقدي نقلاً عن مصابيح القلوب إن زينب عليها السلام قالت لأبيها أتحبنا يا أبتاه؟ فقال عليه السلام: وكيف لا أحبكم وأنتم ثمرة فؤادي، فقالت عليها السلام: يا أبتاه إن الحب لله تعالى والشفقة لنا.

وهذا الكلام عنها عليها السلام روي متواتراً، وإذا تأمله المتأمل رأى فيه علماً جماً فإذا عرف صدوره من طفلة كزينب عليها السلام يوم ذاك بانت له منزلتها في العلم والمعرفة[2].

وعن عماد المحدثين: ان زينب الكبرى كانت تروي عن أمها وأبيها وأخويها وعن أم سلمة وأم هاني وغيرهما من النساء، وممن روى عنها ابن عباس وعلي بن الحسين وعبد الله بن جعفر وفاطمة بنت الحسين الصغرى وغيرهم[3].

وبيعة الغدير والمباهلة ونزول آية التطهير وآية التصدق بالخاتم كانت في أواخر حياة السيدة فاطمة الزهراء فكيف تروي عن أمها فاطمة عليها السلام ولم تسمع او ترى هذه الحوادث المذكورة.

والمهم الذي نريد قوله أن السيدة زينب عليها السلام عاشت وشاهدت تلك الحوادث، ألا أن ظلم التاريخ أكبر خيانة في الاسلام، أو نقول ان السيدة زينب عليها السلام كانت سر من أسرار الله ظهر في ثورة الحسين عليه السلام.

١٩ـ نزول سورة هل أتى: (٢٥ـ ذو الحجة ١٠هـ).

ذهب جمهور المفسرين الى ان سورة هل أتى نزلت في أهل البيت عليهم السلام وهذه نص الرواية كما في الميزان حيث قال:

---

(١) حياة السيدة زينب عليها السلام: ٤٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وفي الكشاف: عن ابن عباس: ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء.

فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفرطوا فوقف عليهم سائل وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً.

فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله ﷺ فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوئني ما أرى بكم فانطلق معهم فرآى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة[1].

فإذا قبلنا أحتمال أن السيدة زينب يوم المباهلة كانت عند السيدة أسماء او أم سلمة فهل نقبل هذا الأحتمال هنا؟!

إنه من الصعب ان نقول ان السيدة زينب عليها السلام لم تكن موجودة مع أهلها، نعم. لو كان هناك شخص سأل احد الإئمة لأجاب الإمام المعصوم عليه السلام بإجابة مفصلة عن ذلك، ولكن كتب السيرة لم تحدثنا بذلك وهذه مظلمة أخرى للسيدة زينب عليها السلام، او توجد روايات من هذا القبيل إلا انه لم تصل إلينا.

---

(١) الميزان ج٢ ص١٤٥.

ومن خلال هذا كله، يتضح إن السيدة زينب منذ نعومة أظفارها عاشت تلك اللحظات الحزينة والسعيدة، ورأت كيف كانت تعامل الناس، المسلم والمشرك، المحب والمبغض بجميع أصنافها مع أهـل بيتها (صلوات الله عليهم)، وكيف كان يتعامل أهل بيتها معهم، وكل ما تعلمته وفهمته من هذه الحوادث والفجائع مخزونة في ذاتها المقدسة، ولما جاءت الى كربلاء عرفت كيف تتعامل مع الأحداث المؤلمة، فأخرجت ما كان مخزون عندها من علم وتفهم فطبقته على واقعة كربلاء، فإنها عالمة غير معلمة.

****

الفاجعة الاولى: وفاة النبي ﷺ

بعد خمس سنوات عاشتها زينب في كنف عائلتها الحنون، وفي ظل أجواء المحبة والعطف حيث كان رسول الله ﷺ يظلل بيت زينب برعايته، ويغمر أفراد ذلك البيت بعنايته وإجلاله.

فلا يكاد يمر يوم لا يلتقي فيه محمد بأهل بيته، وإذا ما سافر كان بيتهم آخر محطة ينطلق منها لسفره، وإذا ما عاد كان بيتهم أول منزل يدخله.

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي ثعلبة الخشني: كان رسول الله ﷺ إذا رجع من غزوة أو سفر أتى المسجد فصلى فيه ركعتين ثم ثنى بفاطمة ثم يأتي أزواجه[1].

وبسنده عن ابن عمران: ان النبي ﷺ كان إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة[2].

في مثل هذه الاجواء النبوية عاشت السيدة زينب خمس سنوات، ورأت تلك المودة والألفة والحب والاحترام المتبادل بين بيت أمها فاطمة عليها السلام

---

(١) المرأة العظيمة ص٥٥.
(٢) المصدر السابق.

وبين جدها النبي ﷺ، يقول الشيخ مغنية:

وكان النبي لا يصبر عن بيته هذا، ولا يشغله عنه شاغل، بخاصة بعد أن نبتت فيه رياحينه، فإذا دخله قبّل هذا، وَشمَّ ذاك، وابتسم لتلك... ودخله ذات يوم فأخذ الحسن وحمله، فأخذ علي الحسين وحمله، فأخذت فاطمة زينب وحملتها، فاهتزت أركان البيت طرباً لجو الصفوة المختارة، وتدلنا هذه الظاهرة وكثير غيرها أن محمداً كان أكثر الأنبياء غبطة وسعادة بأهل بيته[1].

فكانت تعيش في مثل هذه المشاعر والأحاسيس العاطفية ومتنعمة برعاية جدها وعطفه وإذا بها ترى أمها الزهراء عليها السلام تنكب على جثمان أبيها رسول الله ﷺ بعد وفاته تبكي أمرَّ البكاء.

ورأت أخويها الحسنين حينما ألقيا بنفسيهما على جدهما الرسول يودعانه، وهما يذرفان الدموع، فجعل يقبلهما وهما يقبلانه، وأراد علي أن ينحيهما عنه، فقال ﷺ: **(دعهما يتمتعان مني وأتمتع منهما فستصيبهما بعدي أثرة)**[2]. فانقلبت الأجواء في بيتها رأساً على عقب، من بهجة وغبطة وسرور إلى كآبة وحزن وأضطراب.

فإذا كان رسول الله ﷺ يشكل صدمة كبرى وفاجعة مهولة عظمى على المسلمين جميعاً، فإنه لا شك أشد وقعاً، وأعظم أثـراً، على أهل بيته الملتصقين به، والمتنعمين بـرعايته وعطفه وعلى أي حال، إن وفاة النبي ﷺ كانت من افجع الكوارث التي دهمت العترة الطاهرة، فقد كانت الاحداث الرهيبة التي ألمت بهم، وهذا ما سنتحدث عنه في البحوث الآتية.

وقد حكى الإمام الصادق عليه السلام بقوله: لما قبض رسول الله ﷺ بات آل

(١) مع بطلة كربلاء ص٢٢.
(٢) حياة الإمام الحسين ج١ص٢٤١.

محمد ﷺ بأطـول ليلة حتى ظنوا أن لاسمـــاء تظلهم ولا أرض تقلهم لأن رسول الله ﷺ، وتر الأقربين والأبعدين في الله.....[١]".

بيت الأحزان:

قال الإمام الصادق عليه السلام:

أما فاطمة فبكت على رسول الله ﷺ حتى تأذى أهل المدينة، فقالوا: آذيتنا بكثرة بكائك!! أما أن تبكي بالليل، وأما أن تبكي بالنهار! وكانت تخرج الى مقابر الشهداء، فتبكي[٢]".

وفي رواية اخرى: ثم رجعت الى منزلها بعد وفاة أبيها ﷺ وأخذت بالبكاء والعويل ليلها ونهارها، وهي لا ترقأ دمعتها، ولا تهدأ زفرتها، فاجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا الى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا له: يا أبا الحسن، إن فاطمة تبكي بالليل والنهار، فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فرشنا! ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا! وإنّا نخبرك أن تسألها إمّا أن تبكي ليلاً أو نهاراً!! فقال عليه السلام: حباً وكرامة.

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة (صلوات الله عليها) وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء، فلمّا رأته سكنت هنيهة. فقال لها:

يا بنت رسول الله، إن شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إما تبكين أباك ليلاً وإما نهاراً.

فقالت: يا أبا الحسن، ما أقلّ مكثي بينهم، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله ﷺ.

فقال لها علي عليه السلام: إفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك. ثمّ إنّه عليه السلام بنى

---

(١) اصول الكافي ج١ص٤٤٥.

(٢) مناقب آل ابي طالب ج٣ص٣٢٢.

لها بيتاً في البقيع، نازحاً عن المدينة، يسمّى بيت الأحزان.

وكانت عليها السلام إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها، وخرجت الى البقيع باكية، فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السلام إليها، وساقها بين يديه الى منزله[1].

بكاء فاطمة عليها السلام عند سماع ذكر أبيها صلى الله عليه وآله

روي أنها قالت ذات يوم: إني أرغب أن أسمع صوت مؤذن أبي بالآذان، فبلغ ذلك بلالاً وكان أمتنع عن الآذان بعد النبي صلى الله عليه وآله فأخذ في الآذان، فلما قال: الله أكبر، الله أكبر، ذكرت أباها وأيامه فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ قوله (أشهد أن محمداً رسول الله) شهقت فاطمة عليها السلام وسقطت لوجهها وغشي عليها، فقال الناس لبلال: أمسِك يا بلال، فقد فارقت أبنة رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا، وظنوا أنها ماتت، فقطعَ آذانه ولم يتمه، فأفاقت فاطمة عليها السلام فسألته أن يتم الأذان، فلم يفعل وقال لها: يا سيدة النسوان، إني أخشى عليك مما تنزلينه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان فأعفته عن ذلك[2].

فهل يا ترى كانت السيدة زينب عليها السلام بمعزل عن هذه الآلآم؟! أم عاشتها مع أمها السيدة فاطمة عليها السلام؟

المؤرخون لم يذكروا شيئاً عن السيدة زينب عليها السلام، ولكن حسب طبيعة البنت أنها تستأنس بأمها أكثر من أستيناسها بأبيها، وتنسجم معها أكثر من غيرها، وتُعتبر روابط المحبة بين الأم والبنت من الأمور الفطرية التي لا تحتاج الى دليل، فالأنوثة من أقوى الروابط بين الأم وبنتها.

والسيدة زينب الكبرى مغمورة بعواطف أمها الحانية العطوفة، دامت هذه الفترة خمس سنوات وإذا بالأحوال تتغير الى أحزان ومصائب فكيف عاشت السيدة زينب عليها السلام هذه اللحظات الأخيرة مع أمها سيدة النساء، وكيف

---

(١) ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام ص١٧٨-١٧٩.

(٢) بيت الأحزان ص١٨٢.

كانت تنظر الى أمها وهي تذهب الى بيت الاحزان مكرهة على ذلك.

أن السيدة زينب عليها السلام كانت ترى كل هذه المصائب وتشارك أمها الزهراء عليها السلام فأنها شاهدت أمها فاطمة عليها السلام وهي مغمى عليها عندما كان بلال يؤذن، ولا يبعد أنها كانت تذهب مع أمها الى بيت الأحزان ومن هذه اللحظات بدأت السيـدة زينب عليها السلام تستعد وتتهيأ لمصيبة أمها والمصائب القادمة إليها، قلب له من العمر خمس سنوات وأخذت الآلآم تنمو مع نموه، قلب أصابه سهم فراق النبي صلى الله عليه وآله وسهامٌ عدة كانت في الأنتظار ليدمي هذا القلب وهذه الروح الطاهرة، بل أصابت كبد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فهو القائل أولادنا أكبادنا، ذلك القلب الذي أشبعه رسول الله صلى الله عليه وآله بالحنان والعطف والمحبة والوئام، ولكن الرزية كل الرزية: أن التأريخ قد ظلمها كما ظلمها الناس، نعم. التاريخ ظلمها كما ظلم أباها وإخوتها وأسرتها الطاهرة.

بأي ألم كانت تنظر السيدة زينب عليها السلام الى أخويها الحسن والحسين وهما يودعان جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يعانقهما معانقة الفراق، بماذا كانت تفكر؟! ومـاذا كانت تقول؟!

ماذا كانت تعمل عندما شاهدت أمها فاطمة عليها السلام تعانق جدها صلى الله عليه وآله في لحظات الوداع ؟

ماذا قـالت عندما سمعت عميد أسرتها وهو يقول لأبيها: ضع يا علي رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله.

وماذا قال التاريخ عنها حينما ودعت تلك الروح الطاهرة قبل صعودها الى حبيبها راضية مرضية؟!

السيدة رقية عليها السلام كان عمرها ثلاث سنين أو أكثر حسب الروايات عندما رأت رأس أبيها الحسين عليه السلام في الطشت حملته ووضعته في حجرها وهي تبكي وتقول: أبتاه، ليتني مت دونك.... فبقيت الطفلة تبكـي وتُقبّل

الرأس وتنوح حتى أغمي عليها الى أن ماتت[1].

فكيف بالسيدة زينب عليها السلام وهي ترى جدها رسول الله صلى الله عليه وآله قد فارق الدنيا؟!

تقول بنت الشاطيء: رأت دون شك مشاهد الذهول والحزن والجزع، وأصغت الى عويل الباكيات وصراخ المفجوعين، ومن يدري ما الذي كان يدور بخلد الصغيرة الذكية وهي تلفي جدها الكبير صامتاً في تلك المناحة المفجعة، ساكناً والدنيا من حوله ضاجة صاخبة، هائجة مائجة، ثائرة فائرة، كأنما قد لفها إعصار؟!

أي طائف من الحزن المبهم قد طاف بها في عامها الخامس فأسمعها لحن الموت، وأراها موكب الرحيل[2]؟

***

الفاجعة الثانية: إحراق الباب

روى الخصيبي في كتابه الهداية الكبرى حيث يقول: حدثني محمد بن إسماعيل، وعلي بن عبد الله الحسنيّان، عن أبي شعيب محمّد بن نصير، عن عمر بن فرات، عن محمّد بن الفضّل، عن المفضل بن عمر، قال: سألت سيّدي، أبا عبد الله، جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في حديث إلى أن قال الصادق عليه السلام:

ثمّ تبتدئ فاطمة عليها السلام وتشكو ما نالها من أبي بكر وعمر، وأخذ فدك منها... وتقصّ عليه قصّة أبي بكر، وإنفاذه خالد بن الوليد، وقنفذ، وعمر بن الخطاب، وجمع الناس لإخراج أمير المؤمنين عليه السلام من بيته الى البيعة في سقيفة بني ساعدة... وجمع الحطب الجزل على الباب، لإحراق بيت أمير

(١) السيدة رقية ص١٦٥.

(٢) السيدة زينب عقيلة بني هاشم ص٣٥.

المؤمنين والحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم وفضّة عليهم السلام وإضرامهم النار على الباب، وخروج فاطمة عليها السلام إليهم، وخطابها من وراء الباب، وقولها: ويحك يا عمر! ما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله؟! تريد أن تقطع نسله من الدنيا وبقيّته، وتطفئ نور الله، والله متمّ نوره.

وانتهاره لها، وقوله لها: يا فاطمة، كفّي فليس محمّد حاضراً، ولا الملائكة تأتيه بالأمر والنهي والوحي من عند الله، وما عليّ إلا كأحد المسلمين، فاختاري إن شئت خروجه لبيعة أبي بكر أو إحراقكم جميعاً!! فقالت وهي باكية:

اللهمّ! إليك نشكو فقد نبيّك ورسولك وصفيّك، وارتداد أُمّته علينا، ومنعهم إيّانا حقّنا الذي جعلته لنا في كتابك المنزل على نبيّك المرسل.

فقال لها عمر: دعي عنك يا فاطمة حماقات النساء! فلم يكن الله ليجمع لكم النبوّة والخلافة!!

فأخذت النار في خشب الباب، وأدخل قنفذ لعنه الله يده، يروم فتح الباب، وضرب عمر لها بالسّوط على عضدها، حتّى صار كالدملج الأسود، وركل الباب برجله حتّى أصاب الباب بطنها، وهي حامل بمحسن لستّة أشهر، وإسقاطها إيّاه، وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الوليد، وصفقه خدّها حتّى بدا قرطها تحت خمارها، وهي تجهر بالبكاء، وتقول:

يا أبتاه! يا رسول الله! ابنتك فاطمة تُكذَّب، وتُضرَب ويُقتَل جنين في بطنها... الخبر[1].

لقد شاهدت حفيدة النبي صلى الله عليه وآله زينب عليها السلام وهي في سنها المبكر هذه المصيبة الكبرى، رأت الأرهابيون كيف روعوا أمها الزهراء عليها السلام وسمعتها وهي تصيح إليك يا فضة فخذيني والى صدرك فسنديني لقد أسقطوا ما في بطني من حمل.

(١) ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام ص١١٦ نقلاً عن الهداية الكبرى: ٣٩٢.

فسمعت تلك الصيحة من أمها، ورأت ذلك الباب الذي طالما وقف عليه رسول الله ﷺ وهو يقول: **السلام عليكم يا أهل البيت**.

واليوم تشاهد النار قد أضرمت عليه، فقد روعت كما روعوا أمها السيدة فاطمة عليها السلام، ورأت ذلك الأب الذي شهدت له الاعداء بشجاعته وبطولته، اليوم يقاد الى الحكومة المغتصبة الى حكومة الأرهاب وعبيدها.

ورأت ذلك الوحشي قنفذ ورئيسه الأرهابي الذي يقول فيه أمير المؤمنين عليه السلام: شكر أي عمر له ضربها فاطمة عليها السلام بالسوط فماتت وإنّ في عضدها أثره كأنه الدملج[1]. رأته كيف يضرب بضعة خاتم الأنبياء، ورأت أمها وهي تسير كأنها مشية رسول الله ﷺ خلف خليفة رسول الله ﷺ حتى وصلت الى مسجد رسول الله ﷺ، ورأت أمها كيف تطالب بفدك.

فقد روى الشيخ المفيد بسنده، عن زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام قالت: لما اجتمع رأي أبي بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك والعوالي وأيست عن إجابته لها، عدلت الى قبر أبيها رسول الله ﷺ فألقت نفسها عليه وشكت إليه ما فعله القوم بها، وبكت حتى بلت تربته ﷺ بدموعها وندبته، ثم قالت في آخر ندبها: قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... الابيات[2].

فهي إذاً كانت مع أمها حتى في زيارة قبر النبي ﷺ، ولا أدري كيف أصف حالها عند مشاهدتها هذه الرزايا فقد يجف القلم ويصمت اللسان وينعصر القلب ألماً وتسكب العين دماً لهذه الفواجع التي عاشتها هذه السيدة الطاهرة وهي في ربيعها الخامس.

وزادت البنت على أمها:

ورثت السيدة زينب عليها السلام أمها، ونابت عنها مواقفها، وأخذت على عاتقها دورها وهي صغيرة فإن عمر أمها لم يكن إلا كعمر الورود في إيام

---

(١) بيت الأحزان ص١٢٧، نقلاً عن كتاب سليم ص١٣٤.

(٢) نفس المصدر نقلاً عن الأمالي للشيخ المفيد ص٤٠ ط الغفاري.

الربيع، وكعمر الكواكب في الأسحار، وقد أوصت الى أبنتها زينب عليها السلام أن تشارك أباها وأخوتها في إبقاء الإسلام، وأن تدخر نفسها وبصورة خاصة لأخيها الإمام الحسين عليه السلام ويكون هو المبقي بأمر الله تعالى وتكون هي المشاركة حينئذ له والمشاطرة لكل ما سيلاقيه في هذا الطريق، والمستعدة حتى للسبي والأسر، فنفذت البنت كل وصايا الأم الحنون على أحسن ما يرام، وبأفضل ما يتصور، فإن أمها السيدة الزهراء عليها السلام شاركت أباها رسول الله صلى الله عليه وآله في مهمته وشاطرته ما أصابه في طريق رسالته وخاصة بعد أرتحال أمها خديجة عليها السلام حتى لقبها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله بـ **(أم أبيها)** وكفاها ذلك سنداً وفخراً.

وقد شاركت بعلها في مهمته وشاطرته ما أصابه في طريق إمامته، فقد رأت عليها السلام أن من تقمص مكان علي عليه السلام قميص الخلافة، قد شكّل خطراً كبيراً على حياة الإسلام وبقائه، ونزاهته وطهارته، وبركاته وقدسيته: فأعلنت سخطها على المتقمصين للخلافة حتى وصل الأمر أن لا يحضروا جنازتها والصلاة عليها، وأن يعفى أثر قبرها، ليكون سنداً لمظلوميتها الى يوم القيامة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخلف سواها، فما الذي جرى عليها حتى لم يعرف لها قبراً؟! وأورثت كل مواقفها المشرفة أبنتها السيدة زينب عليها السلام فورثته منها كاملة حتى لقبت بذلك (نائبة الزهراء)[1].

حيث شاركت أباها أمير المؤمنين عليه السلام بعد أمها الزهراء عليها السلام في الأبقاء على الإسلام بما كانت تعقده من مجالس نسائية لتفسير القرآن، وتعليم أصول الدين وعقائد الإسلام، وبيان المسائل والأحكام من الحلال والحرام.

فقد روي أنه بعد واقعتي الجمل وصفين أي بعد عام ست وثلاثين من الهجرة أنتقل أمير المؤمنين عليه السلام مع أهل بيته الى الكوفة وكانت معه زينب الكبرى عليها السلام فأقامت فيها ما يقارب أربع سنين.

---

(١) الخصائص الزينبية بتصرف ص٧٨.

رأت نساء الكوفة أن زينب عليها السلام كانت في كمالاتها العلمية مثال أمها الزهراء عليها السلام فطلبن من أزواجهن أن يتوسطوا لهن عند أمير المؤمنين عليه السلام لكي يبلغ أبنته زينب عليها السلام بأن تقيم مجالس لتدريسهن، قبلت زينب عليها السلام ذلك فسرّت النساء فكانت لزينب عليها السلام مجالس لتدريس النساء كل صباح[1].

فقد منح الله تعالى سيدة نساء العالمين الحكمة وفصل الخطاب، فقد ورثت من أبيها حكمه التي هي من مناجم الأدب ومن ذخائر البيان، فكانت بحكم مواريثها أبلغ أمرأة في دنيا الإسلام.

ورافقت الزهراء عليها السلام وهي في فجر الصبا أباها في أيام محنته، ورأت ما كان يعانيه من الأضطهاد والتنكيل، فكان قلبها الطاهر يذوب أسى وحسرات، وهكذا السيدة زينب عليها السلام فقد عاشت ذلك الأسى والحسرات في أيام الخلافة المغتصبة وأيام الخلافة الظاهرية لما عانى أمير المؤمنين عليه السلام من الخوارج وبني أمية.

وقد خرجت الزهراء عليها السلام خلف أبيها عندما هاجر الى المدينة، والسيدة زينب عليها السلام هاجرت مع الحسين عليه السلام الى كربلاء، ولكن الفارق هو أن أهل المدينة أستقبلوا رسول الله صلى الله عليه وآله بكل حفاوة وكانوا له نعِمَ الأنصار، ولكن السيدة زينب عليها السلام رأت في كربلاء كل كرب وبلاء، فقد أستقبلتهم كربلاء بقتل أعز الناس عندها، أخوتها وأولادها وبني عمومتها، أستقبلتها كربلاء بالعطش والدم والأسى، ذهبت الى كربلاء بعز وكفالة ورجال تسهل لها الصعاب ورجعت بلا حامي ولا كفيل، بل رجعت وهي الكفيلة والمحامية لأيتام ونساء أرامل، خرجت من كربلاء وهي أسيرة يسيرون بها من بلاد الى بلاد.

الزهراء عندما أرادت أن تخطب وتحتج لم تذهب الى دار أبي بكر الذي كان رئيس الحكومة آنذاك، بل أختارت المكان الأنسب وهو المركز

---

(١) زينب الكبرى بطلة الحرية ص٥٤.

الإســلامي يومذاك، ومجمع المسلمين حينذاك، وهو مسجد رسول الله ﷺ أ كما وأنها أختارت الزمان المناسب أيضاً ليكون المسجد غاصاً بالناس على أختلاف طبقاتهم من المهاجرين والأنصار ولم تخرج وحدها الى المسجد، بل خرجت في جماعة من النساء، وكأنها في مسيرة نسائية، وقبل ذلك تقرر أختيار موضع في المسجد لجلوس بضعة رسول الله ﷺ وحبيبته، وعلّقوا ستراً لتجلس السيدة فاطمة خلف الستر، إذ هي فخر المخدرات وسيدة المحجبات.

خطبت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام خطبة أرتجالية، منظمة، منسقة، بعيدة عن الأضطراب في الكلام، ومنزهة عن المغالطة والمراوغة، والتهزيج والتشنيع.

بل وعن كل ما لا يلائم عظمتها وشخصيتها الفذة، ومكانتهـا السامية[1].

وهكذا السيدة زينب عليها السلام تماماً من ناحية الفصاحة والبلاغة، وكأنها أمير المؤمنين عليه السلام في خطابه إلا أن الفارق هو:

١ـلم تكن السيدة زينب عليها السلام هي التي أختارت المكان والزمان المناسبين، بل كانت مكرهة على ذلك لأنها أسيرة، فإن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام خرجت الى المسجد وكان خروجها بأختيارها وهذا عكس بنتها.

٢ـ حينما دخلت السيدة فاطمة عليها السلام وبدأت تخطب أجهش الناس بالبكاء، في حين أن السيدة زينب عليها السلام عندما دخلت الى الكوفة او الى الشام خصوصاً كانت أسيرة وتعد من السبايا والخوارج الخارجين على خليفة المسلمين (لعنه الله)، هكذا كان المعروف عند أهل الشام.

٣ـ عندما خرجت السيدة فاطمة عليها السلام الى مسجد رسول الله ﷺ لم تخرج بمفردها، بل خرجت في جماعة من النساء، وكأنها في مسيرة نسائية كما ذكرنا ذلك، ولكن السيدة زينب عليها السلام عندما دخلت الى الشام وخصوصاً

(١) فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد بتصرف قليل ص٢٣٤.

قصر الارهابي يزيد (لعنه الله) كان معها الإمام السجادعليه السلام وهو مريض عليل، ومعها أيتام آل محمد ونساء أرامل، وهل معها شيء آخر؟!

نعم، معها رؤوس معلقة على الرماح، معها رأس عزيز الزهراء عليها السلام؛ معها رأس سيد شباب أهل الجنة، ومعها رؤوس الأخوة والأصحاب، معها رأس كفيلها العباس بن علي عليهما السلام.

وهل كان دخولهم بتلك الهيبة والإجلال والتعظيم، كما دخلت أمهما السيدة فاطمة عليها السلام الى مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

كلا، بل دخلوا وهم مقيدون بالأغلال والحديد.

فعن حذلم بن كثير قال: قدمت الكوفة سنة (٦١هـ) عند مجيء علي ابن الحسين من كربلاء الى الكوفة، ومعه النسوة، وقد أحاط بهم الجنود، وقد خرج الناس للنظر إليهم، وكانوا على جمال بغير وطاء، فجعلن نساء أهل الكوفة يبكين ويندبن[١].

وللسيدة زينب عليها السلام في الكوفة تاريخ وذكريات، فقد كانت سيدة الكوفة، أيام خلافة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام قبل عشرين سنة من دخولها الآن، فلا بد وأن تستعيد في نفسها صور تلك الأيام.

٤ـ أن السيدة فاطمة عليها السلام خرجت الى مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله؛ والسيدة زينب خرجت من الكوفة الى الشام وقد دخلت قصر أفسق رجل عرفته الأمة الإسلامية الذي يقول فيه الإمام الحسين عليه السلام: ويزيدُ رجل فاسق، شارب للخمر، وقاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق.

وقد أخرج الواقدي: أن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة، قال: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، أنه رجل ينكح الأمهات، والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة[٢].

---

(١) المرأة العظيمة ص١٨٠.

(٢) يزيد في محكمة التاريخ ص٢٧.

مثل هكذا فاسق واجهت السيدة زينب عليها السلام ووضعت النقاط على الحروف أمام الملأ الأرهابي الذين أجتمعوا عند خليفتهم الفاسق.

٥ـ أن السيدة الزهراء عليها السلام عندما أرادت أن تخطب علقوا ستراً لتجلس السيدة فاطمة عليها السلام خلف الستر، ولكن السيدة زينب عليها السلام عندما دخلت لكلا القصرين قصر الأمارة وقصر يزيد (لعنه الله) لم يكن هناك أي ستر بينها وبين الزمرة الحاكمة بل كانت مقيدة هي وباقي النساء والأيتام بالحبال وهنا ننقل نص الرواية المروية عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام كما رواها صاحب المنتخب وصاحب تظلم الزهراء:

روي عن الإمـام علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: **لما أرادوا الوفود بنا على يزيد بن معاوية أتونا بحبال وربطونا مثل الأغنام وكان الحبل بعنقي وعنق أم كلثوم، وبكتف زينب وسكينة والبنيات، وساقونا وكلما قصرنا عن المشي ضربونا، حتى أوقفونا بين يدي يزيد، فتقدمت إليه وهو على سرير مملكته وقلت له: ما ظنك برسول الله لو يرانا على هذه الصفة؟!**

فأمر بالحبال فقطعت من أعناقنا وأكتافنا.

وروي أيضاً أن الحريم لما أُدخِلنَ الى يزيد بن معاوية، كان ينظر إليهن ويسأل عن كل واحدة بعينها وهن مربطات بحبل طويلة وكانت بينهن أمرأة تستر وجهه بزندها، لأنها لم تكـن عندها ما تستر به وجهها.

فقال يزيد: من هذه؟

قالوا: سكينة بنت الحسين عليه السلام

فقال: أنت سكينة؟

فبكت واختنقت بعبرتها، حتى كادت تطلع روحها!!

فقال لها: وما يبكيك؟

قالت: كيف لا تبكي من ليس لها ستر تستر وجهها ورأسها، عنك وعن

جلسائك[1].

بهذه الصورة دخلت السيدة بنت أمير المؤمنين عليهما السلام الذي كان يخشى أن ينظر أحد إلى شخصها عليها السلام ، ففي رواية عن يحيى المازني يقول فيها: كنت في جوار أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة مدة مديدة وبالقرب من البيت الذي كانت تسكنه زينب أبنته فلا والله ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأمير المؤمنين أمامها فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد ضوء القنديل، فسأله الحسن مرة عن ذلك فقال: أخشى أن ينظر أحد الى شخص أختك زينب[2].

وهنا نسأل هل زادت البنت على أمها؟! هذا ما ستركه للقارئ ليجيب بنفسه عن ذلك.

٦ـ أن السيدة الزهراء عليها السلام أحرقوا باب دارها وهي في مدينة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما السيدة زينب عليها السلام فقد أحرقوا جميع خيامها وهي في صحراء كربلاء، فأنه لما أمر أبن سعد بإحراق الخيام بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام عصر يوم عاشوراء، وذلك حتى يحرقوا من تبقى في الخيام من النساء والأطفال، أسرعت السيدة زينب عليها السلام الى أبن أخيها الإمام زين العابدين عليه السلام تسأله عن مصيرهم، وعما يجب عليها وعلى من معها أتجاه حرق الخيام التي فاجأتهم مفاجأة يصعب التخلص منها، فأجابها عليه السلام: عمة عليكن بالفرار.

٧ـ عندما هَجَمَ القوم على بيت السيدة فاطمة عليها السلام فقدت جنينها المحسن عليه السلام أما السيدة زينب عليها السلام فقد فقدت كل أهل بيتها من أخوتها

(١) زينب الكبرى من المهد الى اللحد ص٢٨٣.

(٢) حياة السيدة زينب: ٢٨.

وأولادهم، وأولادها أو ولديها وأولاد بني عمومتها سوى أبن أخيها المريض الذي كان لا يستطيع على الحركة الإمام السجاد عليه السلام.

٨ـ هاجرت السيدة فاطمة عليها السلام مع أبيها وزوجها من مكة الى المدينة، ورجعت معهم في فتح مكة وحجة الوداع ومن ثم رجعت معهم الى المدينة، والسيدة الحوراء عليها السلام هاجرت مع أخوانها وأولادهم الى كربلاء ورجعت بدونهم، بل تركتهم أجساد بلا رؤوس، وفارقتهم عند مسيرها الى الكوفة وهم أجساد مرملة بالدماء على صعيد كربلاء، بلا غسل ولا كفن، ودّعت أجسادهم، أما الرؤوس فقد رُفعت على الرماح وهي تنظر تارة الى الأجساد وأخرى الى الرؤوس إلى أن خرجت من كربلاء ومعها رؤوس آل محمد، وعندما رجعت إلى كربلاء كان رجوعها لرد الرؤوس إلى الأجساد. ولزيارة قبورهم بعد فراق طويل.

****

الفاجعة الثالثة: أستشهاد أمها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

عاصرت السيدة زينب عليها السلام الحوادث المؤلمة التي عصفت بأمها البتول بعد وفاة أبيها الرسول، وما تعرضت له من الضرب والأذى، كما سبقت منا الأشارة الى ذلك.

وأنقضت عليها ساعات أليمة وهي تشاهد أمها العليلة، طريحة الفراش، مكسورة الضلع، دامية الصدر، محمرة العين، كانت زينب هي الأقرب لأمها، والمشاركة لها في آلامها وأحزانها، خاصة وأنها تلحظ تدهور صحة أمها وازدياد توجعها، وبعد حوالي (٧٥ يوماً) أو أكثر عاشتها فاطمة الزهراء عليها السلام في وضع مأساوي يصعب تصويره.

زينب تكمل مسيرة أمها:

تقول بنت الشاطئ: وما هو بغريب أن تشغل « زينب « مكان الأم، وإنما الغريب أن نقيس زمانها بزماننا ومكانها بمكاننا، فنزعم أن هذه سن اللهو واللعب، حيث تبدوا زينب في بيت أبيها ذات مكانة أكبر من سنها: أنضجتها الأحداث، وهيأتها لأن تشغل مكان الراحلة الكريمة، فتكون للحسن والحسين وأم كلثوم، أماً لا تعوزها عاطفة الأمومة بكل ما فيها من حنو وإيثار...[1].

فصارت البنت كالأم في تحمّل الشدائد والمصاعب، والرزايا والمصائب، بل وزادت عليها أيضاً، وعند أقتراب الأجل، أرادت الزهراء عليها السلام أن تبعد أبنتيها زينب وأم كلثوم عن مشاهدة تلك اللحظات الأليمة، حيث الموت، ومفارقة الحياة، فأرسلتهما الى بيوت بعض الهاشميات كما تشير أحدى الروايات بينما كان الحسنان مع أبيهما خارج المنزل[2].

وأن عادت زينب وأختها، إلا وقد أنطفأ منه ذلك النور، وذبلت فيه تلك الزهرة الندية، لم تعد زينب تسمع صوت أمها الرقيق.

يا لها من لحظات أليمة مرت على العقيلة زينب وأخوتها... ولكنه أمر الله، وهم على صغر سنهم يعون هذه الحقيقة، فيؤلمهم الفراق، لكنهم يسلمون أمرهم الى الله، ويرددون في ثقة ويقين: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

رأى الإمام أن يتامى فاطمة ينظرون الى أُمهم البارّة الحانية، وهي تلفّ في أثواب الكفن، إنها لحظة فريدة في الحياة، لا يستطيع القلم وصفها، إنها لحظة يهيج فيها الشوق الممزوج بالحزن، إنه الوداع الأخير الأخير!!

هاجت عواطف الأب العطوف على أطفاله المنكسرة قلوبهم، فلم يعقد الخيوط على الكفن، بل نادى بصوت مختنق بالبكاء: يا حسن يا حسين يا

---

(١) عقيلة بني هاشم ص٤٢.

(٢) المرأة العظيمة ص٧٢.

زينب هلمّوا وتزوّدوا من أمكم، فهذا الفراق، واللقاء في الجنة!!

كان الاطفال ينتظرون هذه الفرصة وهذا السماح لهم لكي يودّعوا تلك الحوراء، ويعبّروا عن آلامهم وأصواتهم ودموعهم المكبوتة المحبوسة، فأقبلوا مسرعين، وجعلوا يتساقطون على ذلك الجثمان الطاهر كما يتساقط الفَراش على السراج.

كانوا يبكون بأصوات خافتة، ويغسلون كفن أُمّهم الحانية بالدموع، فتجففها الآهات والزفرات.

كان المنظر مشجياً مثيراً للحزن، فالقلوب ملتهبة، والأحاسيس مشتعلة والعواطف هائجة، والأحزان ثائرة.

وهنا حدث شيء يعجز القلم عن تحليله وشرحه، وينهار أمامه قانون الطبيعة، ويأتي دور ما وراء الطبيعة، فالقضية عجيبة في حد ذاتها، لأنها تحدّث الطبيعة والعادة: يقول علي عليه السلام وهو إذ ذاك يشاطر أيتام فاطمة في بكائهم وآلامهم. يقول: أشهد الله أنها حنّت وأنّت وأخرجت يديها من الكفن، وضمّتهما الى صدرها مليّا[1].

تتبعت أكثر من مصدر فلم أجد رواية تقول أن السيدة فاطمة عليها السلام بعدت أبنتها زينب عليها السلام الى بيوت بعض الهاشميات، فأن صحت هذه الرواية، فما هو حال السيدة زينب عليها السلام عندما دخلت ووجدت أمها قد فارقت الحياة، وما هو مدى ذلك الحب الذي كانت تكنه في قلبها للسيدة الحوراء عليها السلام حتى وصل الأمر أن ترسلها الى بيوت بعض الهاشميات، أي أم تفعل هذا، ماذا فعلت زينب عليها السلام عندما شاهدت أخويها الحسنين عليهما السلام وهما يودعان تلك الأم العظيمة.

وكيف كان حال السيدة الحوراء، عندما حملوا أمها وأخرجوها في ذلك

(١) فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد ص٤٣٥.

الليل المظلم، إذ تقرر إجراء تلك المراسيم ليلاً وسراً، وأستغلال ظلمة الليل مع رعاية الهدوء والسكوت، كل ذلك لأجل تنفيذ وصايا السيدة فاطمة.

الحكيمة

نعم، شيّعوا جثمان فاطمة الزهراء البنت الوحيدة التي تركها الرسول الأقدس بين أمته، وكأنها أمرأة غريبة خاملة فقيرة في المدينة، لا يعرفها أحد وكأنها لم تكن لها تلك المنزلة الرفيعة والشخصية المثالية.

وسمعت زينب عليها السلام بالمحاولة الفاشلة لنبش قبر أمها الزهراء عليها السلام؛ وهذه نص الرواية: أصبح الصباح من تلك الليلة فأقبل الناس ليشيّعوا جنازة الزهراء عليها السلام فبلغهم الخبر أنّ عزيزة رسول الله صلى الله عليه وآله قد دفنت ليلاً وسراً.

وكان الإمام علي عليه السلام قد سوّى في البقيع صور قبور سبعة أو أكثر، وحيث إنّ البقيع كان في ذلك اليوم والى يومنا هذا مقبرة أهل المدينة ولهذا أقبل الناس الى البقيع يبحثون عن قبر فاطمة عليها السلام فأشكل عليهم الأمر ولم يعرفوا القبر الحقيقي لسيدة نساء العالمين، فضجّ الناس، ولام بعضهم بعضاً وقالوا: لن يخلف نبيّكم إلا بنتاً واحدة، تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها والصلاة عليها ولا تعرفون قبرها، فقال بعضهم: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نخرجها فنصلي عليها.

وروي أنّ أبا بكر وعمر أقبلا والناس يريدون الصلاة على فاطمة عليها السلام.

فقال المقداد: قد دفنّا فاطمة عليها السلام البارحة، فالتفت عمر الى أبي بكر فقال: ألم أقل لك إنّهم سيفعلون؟ قال العباس: إنّها أوصت أن لا تصلّيا عليها، فقال عمر: لا تتركون يا بني هاشم حسدكم القديم لنا أبداً، إنّ هذه الضغائن التي في صدوركم لن تذهب، والله لقد هممت أن أنبش قبرها فأُصلي عليها.

وصل خبر محاولات القوم لنبش القبر الى الإمام علي عليه السلام فلبس القباء

الأصفر الذي كان يلبسه في الحروب، وحمل سيفه ذا الفقار وقد أحمرّت عيناه ودرّت أوداجه من شدة الغضب، وقصد نحو البقيع.

سبقت الأخبار علياً الى البقيع، ونادى مناديهم: هذا علي أبن أبي طالب قد أقبل كما ترونه، يقسم بالله لئن حُوّل من هذه القبور حجر ليطعن بالسيف في رقاب الآمرين، فقال رجل: مالك يا أبا الحسن والله لننبشنّ قبرها ولنصلّين عليها؟ فضرب علي عليه السلام بيده الى جوامع ثوب الرجل وهزّه ثم ضرب به الأرض، وقال له: يابن السوداء أمّا حقي فقد تركته مخافة أن يرتدّ الناس عن دينهم، وأمّا قبر فاطمة فوالذي نفس علي بيده رُمتَ وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقينّ الأرض من دمائكم.

فقال ابو بكر: يا أبا الحسن بحقّ رسول الله وبحقّ فاطمة إلا خلّيت عنه، فإنّا غير فاعلين شيئاً تكـرهه. فخلى عنه وتفرّق الناس[1].

هذه الأحداث فهمتها السيدة زينب عليها السلام وأستعدت لكل ما هو أتٍ لها من العصابة الحاكمة.

وذهبت فاطمة الى أبيها الذي كان ينتظرها، وبقيت زينب حائرة، صابرة، وصورة أمها لا تفارقها، وكذلك حال السيدة الزهراء عليها السلام فإن روحها لم تفارق أبنتها الغالية.

فقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يجلس عند قبر الزهراء عليها السلام ليلاً فيقرأ القرآن بناءاً على وصيتها، وفي ليلة من الليالي قرأ شيئاً من القرآن ثم غفا ليلاً وإذا به يرى السيدة فاطمة في المنام تقول به: شكر الله سعيك يا ابن العم لقد نفذت الوصية يا ابا الحسن، ثم قالت: ارجع يا ابا الحسن الى البيت لأن زينب جلست من نومها ونظرت الى مكاني فرأته خالياً فأخذت بالبكـاء.

فلما سمع الإمام عليه السلام كلامها رجع الى البيت مسرعاً فوجد زينب عليها السلام

(١) اعلام الهداية ج٣ ص١٩٠ ١٩١. والظاهر أن الرجل هو عمر.

جالسة وهي تنظر الى مكان أمها الزهراء وعيونها تتحادر دموعاً فلما وقع بصرها على أمير ألمؤمنين صاحت: وأماه وافاطماه[1].

قد ورثت زينب عن أمهـــا كل الذي جرى عليها وصار
وزادت البنت على أمهـــا من دارهـا تهدى الى شر دار

****

الفاجعة الرابعة: أستشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (٢١ رمضان ٤٠ هـ)

عاشت السيدة زينب عليها السلام مع أبيها أمير المؤمنين (٣٥ أو ٣٦) سنة تقريباً وطبيعي أن تنشد البنت لأبيها وتتعلق به، وخاصة إذا ما فقدت أمها فسيصبح أبوها حينئذ هو المنبع الوحيد للعاطفة والحنان والرعاية تجاهها.

فقد تزوج الإمام علي عليه السلام بعد فقد الزهراء عليها السلام أكثر من زوجة، لكن أياً من زوجاته لم تكن لتأخذ مكان السيدة زينب عليها السلام وموقعها من بيت أبيها، فهي سيدة البيت بما تمثله من أمتداد لأمها الزهراء، وبما تمتلكه من صفات ومؤهلات، وبما تتمتع به من محبة واحترام متبادل مع أبيها وأخويها الحسنين.

وحتى بعد زواجها بابن عمها عبدالله بن جعفر، فإنها لم تنقطع عن بيت أبيها، ولم تشغلها التزاماتها الزوجية والعائلية، عن أداء دورها المميز في بيت علي.

وتقول بنت الشاطئ: ولم يفرق الزواج بين زينب وأبيها وأخوتها، فقد بلغ من تعلق علي بأبنته وابن أخيه أن أبقاها معه، حتى إذا ولي أمر المسلمين، وأنتقل الى الكوفة، أنتقلا معه، فعاشا في مقر الخلافة، موضع رعاية أمير المؤمنين وأعزازه، ووقف عبدالله بجانب عمه في نضاله الحربي،

(١) المجالس المرضية في الأيام الفاطمية ص٤٦.

فكان أميراً بين أمراء جيشه في صفين[١].

عاشت مع أبيها تلك السنوات وعاصرت تلك الآلآم التي مر بها عليه السلام تربت بين يدي ذلك الأب الذي كانت ولادته في بيت الله، كعبة الإسلام وقبلتهم، فكل من أراد أن يتعبد عليه ان يستقبل ذلك البيت الذي ولد فيه علي ربيب النبوة، فهو أول مولود في الكعبة وأول السابقين الى الإسلام، وأول من صلى مع النبي، وأول تلميذ لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأول من بايع النبي وأعلن مناصرته، وأول كتّاب الوحي، وأول من عقدت له الولاية على المسلمين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، وأول من فدى النبي بنفسه، وأول من رقى منكب النبي صلى الله عليه وآله وكسر الأصنام و... وأول من قتل في بيت الله.

وكانت أول بنت هي السيدة زينب عليها السلام تربت في أحضان علي، علي الذي وصفه ضرار بن ضمرة الكناني لمعاوية بن أبي سفيان حتى أبكاه وأبكى القوم وجعله يترحم عليه بقوله: كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة طويل الفكرة، يقلّب كفّه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه، وينبّئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيّانا وقربه منّا لا نكاد نكلّمه هيبةً له، فإن ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين ويقرّب المساكين، لا يطمع القويّ في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله[٢].

وقال صعصعة بن صوحان لعلي بن أبي طالب عليه السلام يوم بويع: والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك، ولهي إليك

---

(١) عقيلة بني هاشم ص٥٠.
(٢) اعلام الهداية ج٢ ص١٧ ١٨.

أحوج منها إليك[١].

كان بغيضاً لديه أن ينال أحداً من الناس بالأذى وإن آذاه، وأن يبادر مخلوقاً بالاعتداء ولو على ثقة بأن هذا المخلوق يقصد قتلـه، فلم يقابل الأمويين بالسباب يوم كانوا يرشقونه به... بل إنه منع أصحابه أن ينالوا الأمويين بالشتيمة المقذعة حتى قال لهم: إني أكره أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العــذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم أحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعــدوان من لهج به[٢][٣].

انا على يقين أن الأحاطة بجميع مزايا هذا الإمام خارج عن نطاق البشر وقدرة البيان، لأنه عليه السلام كالبحر لا يُدرك طرفاه ولا يبلغ جانباه ولا يمكن الغوص الى عمقه.

فالمتحدث عن شخصية الإمام يجد أمامه عوالم غير متناهية، يطير في فضائها وأرجائها، ومهما أوتي مـن حول وقوة فإن التعب يدركه قبل أن يدرك مداها.

أن السيدة زينب تربت عند هكذا أستاذ ربى رجالاً ضحوا بأنفسهم

---

(١) اعلام الهداية ج٢ ص٢٦.

(٢) اعلام الهداية ج٢ ص٣٣.

(٣) وهذا ليس موعظة ودرس لأصحابه، بل لشيعته عموماً وخصوصاً في أيامنا هذه التي تكالبت علينا الفتن من كل حدب وصوب، حتى وصل الأمر الى أن نتقاتل فيما بيننا وكل له حجته الشرعية؟!، فإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام ينهى أصحابه من سب أعدائه، ومن هم أعدائه؟! هم الذين أعلنوا سبه على المنابر ثمانين سنة أو أقل بقليل، ولا أعلم ماذا كان يقول لو رأى شيعته على هذا الحال.

وهو الأب الرحيم عليهم كما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة.

ماذا نقول له يوم نلقاه؟! نحن شيعتك وقتلنا شيعتك، أصبحنا مثل الأموي الذي كان يقول: سيدنا معاوية رضي الله عنه قتل سيدنا حجر رضي الله عنه لانه كان يحب سيدنا علي رضي الله عنه.

من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى، كأبي ذر وعمار والمقداد ومالك وميثم ومحمد بن أبي بكر ورشيد الهجري وحجر بن عدي وغيرهم.

عاشت مع رجل يعرفه الله ورسوله ولا يعرفه غيرهما، ولكن هذه الأيام الجميلة التي قضتها معه سرعان ما قتلها أشقى الأشقياء يوم خضب شيبته بدم رأسه.

فالسيدة زينب عاصرت تلك الحكومات الثلاث المغتصبة، وعاشت مع أبيها أيام الخلافة الظاهرية، بعد ما أنقضى ربع قرنٍ والإمام جليس بيته، مسلوب الأمكانيات فاقداً قدرة النهوض بأعباء الخلافة وما هناك من لوازم ومتطلبات ومسؤولية أمام الله والتاريخ، لأن المسؤولية تابعة للقدرة والقوة ونفوذ الكلمة وجوداً وعدماً.

وتنتهي تلك الفترة المؤلمة بمقتل عثمان وانتقال الخلافة الى الإمام مرة ثانية بعد أنتزاعها من إثر واقعة الغدير.

فيبدأ دور المسؤولية وبيان مسؤوليات الحكم في القانون الإسلامي، وتطبيق أحكام الله في جميع المجالات والأصطدام بالنزعات والإتجاهات المخالفة وما يرافق ذلك من مشاكل وعراقيل ومواقف حَرِجة.

لقد واجه الإمام علي عليه السلام أخطاراً عدة من أطراف مختلفة سواءً من داخل الجزيرة العربية أو من خارجها في نطاق الدولة الإسلامية، وكان أخطر تلك الأحداث مواقف والي الشام معاوية بن أبي سفيان الذي رفض الأذعان لأوامر الخليفة بالتنازل عن ولايته والتوجه الى العاصمة لتسليم نفسه.

كانت بيعة الناس لأمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة صاعقة حلّت بقريش وكل من يكن العداء للإسلام، فحكومة الإمام هي أمتداد لحكومة رسول الله صلى الله عليه وآله التي أذلت الظلم والعدوان والبغي، وجاءت بالعدل والمساواة والحق والفضيلة، وحطمت المصالح الأقتصادية القائمة على الربا والأحتكار

والأستغلال، فعزّ على كثير من كبار قريش أن يكونوا على قدم المساواة مع أي مواطن آخر من أي فئة كانت في حكومة الإمام علي عليه السلام الذي طالت إصلاحاته ولاة عثمان.

وكان معاوية يتصرف في الشام تصرّف الحاكم المطلق المتفرّد والطامع في السيادة الإسلامية العظمى جاداً في تولّي أمور الأُمة الإسلامية بصورة تامّة، فكانت المفاجأة لجميع هؤلاء بقرارات الإمام وتخطيطه للإصلاح الشامل إضافةً الى تضرّر مجموعة أو مجموعات كانت تستغل مناصبها في عهد عثمان وهي الآن قد فقدت مصدر ثرواتها، فإنّ وجود الإمام في قمّة السلطة كان يُعدّ تهديداً صارخاً للخطّ القبلي المنحرف الذي سارت عليه قريش، لأنّ الإمام علياً عليه السلام قد عرف بأنّه القادر على رفع راية الإسلام الحق من دون أن تأخذه في الله لومة لائم، ولهذا سيكشف زيف الخطّ المنحرف دون تردّد.

من هنا أجتمعت آراؤهم وأهواؤهم على إثارة الفتن للحيلولة دون استقرار الحكم الجديد، ولم يكن تقلّب الوضع السياسي ووجود العناصر المعادية للأتجاه الصحيح لمسيرة الحكومة الإسلامية غريباً على الإمام علي عليه السلام ؛ فقد أخبره النبي صلى الله عليه وآله بتمرّد بعض الفئات على حكمه، وعهد إليه بقتالهم كما أنّه قد سمّاهم له بالناكثين والقاسطين والمارقين[1].

فأول من أعلنت التمرد على الإمام علي عليه السلام هي السيدة عائشة التي أخذت تطالب بدم عثمان لقد كان موقف السيدة عائشة من عثمان غريباً متناقضاً لا يليق بمقام امرأة تعدّ من نساء النبي صلى الله عليه وآله، فكانت تردّد قولها (اقتلوا نعثلاً) وتحرّض الناس على التمرّد عليه وعلى قتله، وقد خرجت من المدينة الى مكّة أثناء محاصرة عثمان من قبل الثوار وهي تتوقّع النهاية السريعة لعثمان، ومن ثمّ فوز قريبها طلحة بالخلافة، والاستيلاء على الحكم.

(١) اعلام الهداية ج٢ ص١٨٩ ١٩٠.

وحين فوجئت بأنّ الأمر قد استقرّ بعد بيعة الناس الى الإمام علي عليه السلام كرّت راجعة نحو مكّة بعد أن كانت قد عزمت على الرجوع الى المدينة وأعلنت حزنها وتظلّمها على عثمان، فقيل لها: أنتِ التي حرّضت على قتله فأختلقت عذراً واهياً، فقالت: إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه. وكأنّها كانت حاضرة تشهد مقتله.

وأعلنت السيدة عائشة حربها ضدّ الإمام علي عليه السلام في خطابها الذي ألقته في مكّة محرّضة أتباعها على الحرب[1] وحدث ما حدث الى أن ذهبت الى البصرة فأندلعت حرب الجمل وهي الحرب الأولى خلال خلافته الظاهرية أي بعد ستة أشهر وعدة أيام من استلام الخلافة ونحن هنا لا نريد أن نتكلم عن هذه الحادثة مفصلاً ولكن نذكر بعض النتائج السلبية التي خلّفتها هذه الحرب على واقع المجتمع الإسلامي:

نتائج حرب الجمل:

١ـ توسّعت مسألة قتل عثمان بن عفّان حتى أصبحت قضية سياسية كبيرة جرّت من ورائها ظهور تيارات مناوئة فعلاً وقولاً لمسيرة الرسالة الإسلامية، فأطلّ معاوية بن أبي سفيان ليكمل مسيرة الإنحراف الدموي في الجمل.

٢ـ أشاعت الأحقاد بين المسلمين، وفتحت باب الحرب والأقتتال فيما بينهم، فكانت الفرقة بين أهل البصرة أنفسهم وبين باقي الأمصار الإسلامية، فكانت العداوة لمطالبة بعضهم البعض الآخر بدماء أبنائهم في حين كان المسلمون يتحرّجون من أراقة دمائهم.

٣ـ توسّعت جبهة الانحراف الداخلي في المجتمع الإسلامي، وازدادت العراقيل أمام حكومة الإمام علي عليه السلام فبعد أن كان تمرّد معاوية في الشام فقط انفتحت جبهة اُخرى ممّا أدّى الى انحسار التوسّع الخارجي، وكذلك

(١) اعلام الهداية ج٢ ص١٩١.

انحسار الأعمال الإصلاحية والحضارية التي كان يمكن أن تنمو في المجتمع الإسلامي.

٤ـ إنّ الأحقاد والانحراف فتحا الطريق على المخالفين في المعتقد السياسي للّجوء فوراً الى حمل السلاح والقتال[١].

ومن خلال هذه الإسباب التي ذكرناها حدثت معركة صفين ومن ثم بسببها حدثت معركة النهروان.

تأثير هذه الأحداث على السيدة زينب عليها السلام:

أن كل هذه الحوادث وما خلّفتها من متاعب لأهل البيت قد عاشتها السيدة زينب عليها السلام بمرارة وختمت السيدة زينب عليها السلام هذه الحوادث بمعركة الطف التي أخذ مأخذها الأليم من حياتها الشريفة.

ان السيدة زينب عليها السلام فتحت عينيها على عداء قريش لأهل بيتها من يوم ولادتها وحتى يوم وفاتها كما كانت أمها الزهراء عليها السلام لأبيها وما لاقوه من عداء قريش، إلا أن البنت زادت على أمها، فأنها رأت كبد الإمام الحسن عليه السلام في الطشت، ورأت كيف أمطروا بني أميّة سهامهم على جسد الإمام الحسن عليه السلام وشاهدت رؤوس أخوتها معلقة على الرماح كما سيأتي ذلك.

***

الفاجعة الكبرى

عاشت خمس وثلاثون سنة مع أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وهي لم تفارقه إلا اذا كان في سفر، فقد كان لها كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام، لا يفارقها إلا في الضرورة.

---

(١) اعلام الهداية ج٢ ص٢٠١ ٢٠٢.

في ضيافة زينب عليها السلام:

وشاء القدر أن يكون علي تلك الليلة ضيف أبنته زينب، وأن ينطلق للشهادة من بيتها.

ويسجل لنا التاريخ بعض اللقطات عن تلك الليلة الخطيرة والساعات الحساسة في بيت العقيلة زينب، ولا أعلم لماذا بات الإمام في حجرة أبنته السيدة زينب تلك الليلة؟

ولعلّه اختار المبيت في بيتها حتّى تُشاهد وترى، وتروي مُشاهدتها ومسموعاتها عن أبيها امير المؤمنين في تلك الليلة، إذ كانت تلك الليلة تمتاز عن بقيّة الليالي. فإنّها تُحدّثنا فتقول: إنّه عليه السلام قال لأولاده: إنّي رايتُ في هذه الليلة رؤيا هالْتني، وأُريد أن أقصّها عليكم. قالوا: وما هي؟

قال: إنّي رأيتُ الساعة رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وهو يقول لي: إنّك قادم إلينا عن قريب، يجيء إليك أشقاها فيخضب شيبتك مِن دم رأسك، وأنا والله مُشتاق إليك، وإنّك عندنا في العَشر الآخِر مِن شهر رمضان، فهَلُمَّ إلينا فما عندنا خَيرٌ لك وأبقى.

فلمّا سمعوا كلامه ضَجّوا بالبكاء والنحيب، وأبدوا العويل، فأقسم عليهم بالسكوت، فسكتوا.

وتقول السيدة زينب عليها السلام: لم يَزل أبي تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، ثمّ يَخرُج ساعةً بعد ساعة، يُقلب طرفه في السماء وينظر في الكواكب وهو يقول: **والله ما كُذبتُ ولا كَذبت، وإنّها الليلة التي وُعدتُ بها.** ثمّ يعود إلى مُصلاّه ويقول: **اللهمّ بارِكْ لي في الموت**. ويُكْثرُ من قول: **إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم**. ويُصلّي على النبي وآله صلى الله عليه وآله ويستغفرُ الله كثيراً.

تقول: فلمّا رأيتُه في تلك الليلة قَلقاً مُتملْمِلاً كثيرَ الذِكر والإستغفار، أرقتُ معه ليلتي وقلت: يا أبتاه مـا لي أراك في هذه الليلة لا تذوق طعْمَ

الرُقاد؟

قال عليه السلام: يا بُنيَّة إنّ أباك قتل الأبطال وخاضَ الأهوال وما دخل الخوفُ له جَوفاً، وما دخلَ في قلبي رُعبٌ أكثر ممّا دخَلَ في هذه الليلة؟

ثمّ قال: **إنّا لِلّه وإنّا إليه راجعون.**

فقلت: يا أبتاه، ما لك تنعى نفسك في هذه الليلة؟

قال: يا بُنيّة قد قَرُبَ الأجل وانقطع الأمل.

قالت: فبكيتُ، فقال لي: يا بُنيّة لا تبكي فإنّي لم أقُلْ ذلك إلا بما عَهِدَ اليَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم.

تقول عليها السلام: ثمّ إنّه نعس وطوى ساعة، ثمّ استيقظ من نومه وقال: يا بُنيّة إذا قَرُب وقتُ الأذان فأعلميني.

ثمّ رجع الى ما كان عليه أوّلَ الليل من الصلاة والدعاء والتضرّع الى الله سُبحانه وتعالى.

فجعلتُ أرقُبُ وقت الأذان، فلمّا لاح الوقت أتيتُه ومعي إناء فيه ماء، ثمّ أيقظتُه فأسبغ الوضوء، وقامَ ولَبِسَ ثيابَه وفتح بابَ الحُجرة، ثمّ نزل إلى ساحة الدار.

وكانتْ في الدار إوَزّ قد أُهديتْ إلى أخي الحسين، فلمّا نزل خَرجْن وراءَه ورفْرفْنَ وصِحْنَ في وجهه ولم يَصحن قبل تلك الليلة فقال عليه السلام: لا إله إلا الله، صوارخ تَتْبَعُها نوائح، وفي غداة غدٍ يظهرُ القضاء.

فقلت: يا أبتاه هكذا تَتطيَّر؟!

فقال: يا بُنيّة! ما مِنّا أهل البيت من يتطيّر، ولا يُتطيَّر به، ولكنْ قولٌ جرى على لساني.

ثمّ قال عليه السلام: يا بُنيّة! بحقّي عليكِ إلا ما أطلقتيه، فقد حَبسْتِ ما ليس له لسان، ولا يَقدرُ على الكلام إذا جاعَ أو عطش، فأطعميه واسقيه وإلا خلّي

سبيله يأكل مِن حشائش الأرض.

فلمّا وصل الى الباب عالجه ليفتحه، فتعلَّقَ البابُ بِمئزره، فانْحلّ مِئزرُه حتّى سقط، فأخذه وشدَّه وهو يقول:

أُشـــدُدْ حيازيمك للموت فــإنّ المــوت لاقيكا
ولا تجزعْ مِـن المـوت إذا حــــلّ بناديكـا
كمـا أضحكك الـدهـرُ كــذاك الـدهر يُبكيكا

ثمّ قال: اللهمّ بارِكْ لنا في الموت، اللهمّ بارِكْ لي في لِقائك.

تقول السيّدة أُمّ كلثوم: وكنت أمشي خلفه، فلمّا سمعتُه يقول ذلك قلتُ: واغوثاه يا أبتاه! أراك تنعى نفسك مُنذُ الليلة؟!

فقال عليه السلام: يا بُنيّة! ما هو بِنعاء، ولكنّها دلالات وعلامات الموت.. يتبعُ بعضُها بعضاً. ثمّ فتح الباب وخرج.

فجئتُ الى أخي الحسن فقلت: يا أخي قد كان مِن أمرِ أبيك الليلة كذا وكذا، وهو قد خرج في هذا الليل الغَلس، فالحقه.

فقام الحسن عليه السلام وتبِعَه، فلحِقَ به قبل أن يَدخل الجامع، فأمره الإمامُ بالرجوع، فرجَع[1].

وصل امير المؤمنين عليه السلام إلى بيت الله فجعل يوقظ الناس على عادته إلى عبادة الله فينادي: الصلاة... الصلاة.

ثم شرع عليه السلام في صلاته، وبينما هو منشغل يناجي ربه إذ هوى المجرم اللعين عبدالرحمن بن ملجم وهو يصرخ بشعار الخوارج (الحكم لله لا لك) ووقع السيف على رأسه المبارك فقدّ منه فهتف الإمام عليه السلام: **(فزت وربّ الكعبة)**.

---

(١) زينب من المهد الى اللحد ص٤٤.

ولما علّت الضجة في المسجد ؛ أقبل الناس مسرعين فوجدوا الإمام عليه السلام طريحاً في محرابه، فحملوه إلى داره وهو معصّب الرأس والناس يضجّون بالبكاء والعويل، وألقي القبض على المجرم أبن ملجم، وأوصى الإمام عليه السلام ولده الحسن وبنيه وأهل بيته أن يحسنوا إلى أسيرهم وقال: (**النفس بالنفس، فإن أنا مُت فاقتلوه كما قتلني، وإن أنا عشت رأيت فيه رأيي**).

وصية الإمام عليه السلام:

أوصى الإمام عليه السلام ولديه الحسن والحسين عليهما السلام وجميع أهل البيت بوصايا عامة فقال:

(أُوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحق وأعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، واعملا بما في الكتاب، ولا تأخذكما في الله لومة لائم)[١].

انقضت تلك السنوات المريرة، المليئة بالآلآم والمآسي، وأنتهت تلك الصفحات المؤلمة بالفاجعة التي أهتزت منها السماوات والأرضون[٢].

لقد كانت العلاقات الودية بين الإمام أمير المؤمنين وبين أولاده وبناته على أطيب ما يمكن، وفي جو من الصفاء والوفاء، والعاطفة والمحبة.

فقدت زينب ذلك الأب الرحيم الذي هاجرت معه من المدينة الى الكوفة، سافرت زينب عليها السلام هذه السفرة وهي في غاية العز، ونهاية الجلالة والأحتشام، يسير بها موكب فخم رهيب من مواكب المعالي والمجد محفوف بأبهة الخلافة، محاط بهيبة النبوة، مشتمل على السكينة والوقار فيه أبوها الكرار أمير المؤمنين عليه السلام....[٣].

ورجعت زينب عليها السلام وركبها خالٍ من أبيها، وودّعت مدينة أبيها وهي

---

(١) أعلام الهداية ج٢ ص٢٢٢.
(٢) زينب من المهد الى اللحد ص٤٣.
(٣) حياة السيدة زينب ص١٠٩.

تتذكر تلك الأيام التي عاشتها تحت رعايته، وعطفه وحنانه، اليوم رجعت من دون أب، وغداً ترجع من دون أخ، فاجعة أعظم من الفاجعة الأخرى، ماذا أخفى لها الزمن؟! زينب، تعلم ماذا أخفى لها! نعم. تعلم أنها سوف ترجع الى الكوفة ولكن هل رجوعها يكون كدخولها أول مرة!؟

****

زينب مع أخيها الحسن عليه السلام

نتحدث في هذا الموضوع عن جانبين:

الأول: علاقة الإمام الحسن بأخته السيدة زينب عليها السلام:

بعد أستشهاد الإمام علي عليه السلام أصبح سيد البيت العلوي الإمام الحسن عليه السلام، وكان الإمام الحسن عليه السلام يحترم السيدة زينب عليها السلام ويعطف عليها كعطف أبيه فقد رأى عليه السلام رعاية جده وأبويه لأخته زينب عليها السلام وكيف أحاطوها بكل تبجيل وأحترام، وقد أشادوا بمواهبها وفضائلها، وقد وصفه واصفوه: لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي عليه السلام خلقاً وخُلقاً وحياة وهدياً وسؤدداً.

وكان من تواضعه على عظيم مكانته أنه مر بفقراء وضعوا كسيرات على الأرض، وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلم يا بن رسول الله الى الغداء، فنزل وقال: أن الله لا يحب المتكبرين. وجعل يأكل معهم، ثم دعاهم الى ضيافته فأطعمهم وكساهم[1].

هكذا كان الإمام الحسن عليه السلام مع عامة الناس، يعاملهم بلطفه ورعايته، فكيف إذا كانت أخته زينب عليها السلام وهي يتيمة الأبوين، كما كان يرى فيها أمه الزهراء عليها السلام، فهو لم يفارقها وهي لم تفارقه، وكيف لا، وهو عليه السلام يعلم ماذا سوف يجري عليها، بل من المؤكد كان يهيؤها لتلك الأيام القادمة المملوءة

---

(١) صلح الحسن ص٢٨.

بالآهات والأحزان، كان يعطيها كل ما فقدته من ذلك الحنان الأبوي، فهو الأخ الأكبر لها عليها السلام، والأخ الأكبر بمنزلة الأب كما يروى ذلك عن الإمام الرضا عليه السلام.

فقد ورد ان الإمام الحسن عليه السلام لما وضع الطشت بين يديه وصار يقذف كبده، سمع بأن أخته زينب عليها السلام تريد الدخول عليه، أمر وهو في تلك الحال برفع الطشت إشفاقاً عليها.

وهذا يعبر عن المنزلة العظيمة للسيدة زينب عليها السلام لدى أخيها الإمام الحسن عليه السلام، تحت هذه الرعاية الأبوية وهذا العطف عاشت السيدة زينب عليها السلام مع الإمام الحسن عليه السلام.

وإن كانت المصادر التاريخية لم تنقل لنا عن هذه العلاقة إلا أننا حينما ننظر عن العلاقة التي كانت بين الإمام الحسين عليه السلام وأخته السيدة زينب عليها السلام كما سيأتي في محله نرى عمق تلك العلاقة، فإن الإمام الحسن ينظر الى السيدة زينب عليها السلام بنفس تلك النظرة التي كانت عند الإمام الحسين عليه السلام لأخته زينب عليها السلام.

الثاني: علاقة السيدة زينب عليها السلام بأخيها الإمام الحسن عليه السلام:

كانت السيدة زينب عليها السلام تنظر الى أخيها الإمام الحسن عليه السلام من منظارين:

أ ـ منظار الأخوة:

كان الإمام الحسن عليه السلام الأخ الأكبر للسيدة زينب عليها السلام ومن المعلوم أن الأخ الأكبر له مكانة خاصة عند الأخوة والأخوات، فالسيدة زينب عليها السلام كانت تنظر الى أخيها الإمام الحسن عليه السلام مقام أمير المؤمنين علي عليه السلام؛ فقد كان عليه السلام عميد الأسرة الهاشمية فضلاً عن الأسرة العلوية، فكان جميع أفراد الأسرة ينظر بإجلال وتقدير الى الإمام الحسن عليه السلام فكيف بالسيدة زينب عليها السلام وهي تعرف من هو الإمام الحسن عليه السلام، فكانت تعلم أو قد رأت

أو سمعت ذلك، أن رسول الله ﷺ كان يتأذى لبكائهما، وقد شاهدت أمها الزهراء عليها السلام عندما أخرجت يديها من الكفن وضمت أخويها الحسنين عليهما السلام؛ وكذلك شاهدت علاقة أبيها مع الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

وتجدر الأشارة الى أن كل ما سنذكره من الروابط القلبية بين السيدة زينب والإمام الحسين فهي ثابتة بينها وبين الإمام الحسن عليه السلام. وإذا كان التأريخ قد سكت عن التفاصيل فأن أصل الموضوع ثابت[1]، ونكتفي هنا بما ذُكر في بعض الكتب من موقف السيدة زينب عليها السلام

حينما حضرت عند أخيها الإمام الحسن ساعة الوفاة: ..... وصاحتْ زينب: واأخاه! واحسناه! واقِلة ناصِراه!

يا أخي من ألوذ به بعدك؟! وحزني عليك لا ينقطع طولَ عمري! ثم بكت على أخيها وهي تلثم خديه وتتمرغ عليه، وتبكي عليه طويلاً[2].

ب ـ منظار الإمامة:

لقد خص الرسول الأعظم حفيديه الحسن والحسين عليهما السلام بأوصاف تنبيء عن عظيم منزلتهما لديه، فهما:

١ـ ريحانتاه من الدنيا وريحانتاه من هذه الأمة، فقد قال عبدالله بن عمر: أهل العراق يسألون عن الذباب يقتله المحرم، وقد قتلوا أبن بنت رسول الله ﷺ وقال النبي ﷺ: هما ريحانتاي من الدنيا أو ريحانتاي من هذه الأمة[3].

٢ـ هما خير أهل الأرض.

٣ـ وهما سيدا أهل الجنة.

٤ـ وهما إمامان قاما أو قعدا.

---

(١) زينب من المهد الى اللحد ص٥٤.

(٢) معالي السبطين ج١، المجلس السابع .

(٣) صحيح البخاري ٢ / ١٨٨، سنن الترمذي ص٥٣٩.

٥ـ وهما من العترة (أهل البيت) التي لا تفترق عن القرآن الى يوم القيامة، ولن تضل أمة تمسكت بهما.

٦ـ وهما من أهل البيت الذين يضمنون لراكبي سفينتهم النجاة من الغرق.

٧ـ وهما ممن قال عنهم جدهم ﷺ: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمـان لأهل الأرض من الأختلاف.

٨ـ وقد أستفاض الحديث عـن مجموعةٍ من أصحاب الرسـول ﷺ أنهم قد سمعوا مقالته فيما يخص الحسنين: اللّهم إنك تعلم أني أحبُهما فأحبهما، وأحب من يحبهما.

وعن سلمان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **الحسن والحسين أبناي، من أحبهما أحبني، ومن أحبني أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار**[1].

٩ـ أن السيدة زينب عليها السلام إن لم تكن سمعت ذلك بالمباشرة من جدها رسول الله ﷺ فقد سمعت من أبويها أو من أم سلمة أو أسماء لأنها كانت أحاديث مشهورة بين المسلمين والمهم أنها تعلم علماً يقينياً أن هذه الأحاديث كانت من قبل رسول الله ﷺ وهي تعلم أيضاً أن جدها ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

والسيدة زينب عليها السلام عالمة غير معلمة كما يقول الإمام السجاد عليه السلام؛ فقد كانت تعتبر الإمام الحسن عليه السلام إمامها المفترض الطاعة، فمن المؤكد أنها كانت طائعة للإمام الحسن عليه السلام لكونه إماماً فضلاً عن كونه الأخ الاكبر كما تقدم.

ومن الطبيعي أنها كانت مناصرة ومناضلة له لأنها كانت تعلم أنهما

(١) اعلام الهداية ج٤ ص٢٦.

الحسن والحسين خلفاء رسول الله ﷺ بعد أمير المؤمنين عليه السلام، وإن هذه الخلافة قد غصبت منهما كما غصبت من ذي قبل من الإمام علي عليه السلام.

يقول السيد الجزائري:

وكذلك شاركت أخاها الإمام الحسن عليه السلام بمثل ذلك أبقاء الإسلام عندما أنتقل دور المتبقي إليه، وخاصة عندما رأى الإمام الحسن عليه السلام أن أبقاء الإسلام لا يتم إلا بمهادنة معاوية وسلب الشرعية عنه عن طريقها، وكشف واقعه المزري وفضح حقيقة بني أمية المخزية عبر بنود الصلح، ومن خلال التثقيف الديني الذي تبناه الرسول ﷺ والأئمة من أهل بيته عليهم السلام ومنهم الإمام الحسن عليه السلام في المجتمع البشري، ونشر الوعي الإسلامي في الناس وخصوصاً في أيام الهدنة، وتمهيد النهضة لأخيه الإمام الحسين عليه السلام وكان لزينب عليها السلام الأثر الكبير في كل ذلك[1].

وقد تمثلت مرجعية الإمام الحسن عليه السلام العلمية والدينية في تربيته لكوكبة من طلاب المعرفة، وتصديه للانحرافات الدينية التي كانت تؤدي الى مسخ الشريعة، كما تصدى لمؤامرة مسخ السنة النبوية الشريفة التي كان يخطط لها معاوية بن أبي سفيان من خلال تنشيط وضع الأحاديث والمنع من تدوين الحديث النبوي، ومن الطبيعي أن الإمام الحسين عليه السلام وأخته السيدة زينب عليها السلام كانا يشاركان الإمام الحسن في هذا العمل وهذه المرجعية.

حديث الصلح:

روى أبو بكرة، قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جانبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: إن أبني هذا سيدٌ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[2].

(١) الخصائص الزينبية ص٧٩.

(٢) الإصابة ج١:٢٣٠ صحيح البخاري ج١: ١٥٢، ذكره في الصلح، ورواه أحمد بن حنبل في

إن السُنّة النبوية هي المصدر الثاني للعقيدة والشريعة، ولذلك عكف المسلمون على جمع ما روي عنهﷺ من قول أو فعل أو تقرير بنحو لا مثيل له في الأمم السابقة، وقد أستأثرت السُنّة بأهمية عند المسلمين، حدث بهم إلى تأسيس علوم بغية فهم كتاب الله وسُنّة نبيه، هذا من جانب.

ومن جانب آخر قد دس فيها أحاديث كثيرة مكذوبة وموضوعة من قبل أصحاب الأهواء ورجال العبث والفساد.

لقد أنتشرت روايات الكذب بأموال معاوية وقوّته القاهرة وجيشه الكثير من الرواة والقصاصين، وسيطرتهم على عالم الرواية والتدوين.

كانت دواعي وضع الحديث في عهد معاوية وحكومته التي دامت أربعين عاماً أشد من عهد الخلفاء قبله وخاصة في السنوات الخمسة والعشرين الأخيرة من حكمه وكلما مر الزمان كانت رغبة المسلمين تجاه أمير المؤمنينعليه السلام ومعرفة مقامه وأهمية شأنه تزداد شيئاً فشيئاً، وكانوا مولعين بسماع الأحاديث الصحيحة وروايتها، وهذا ما لا شك فيه كان يضر بكيان معاوية وموقعه في المجتمع أكثر مما يتصور.

ولذلك بادر معاوية إلى أن يتدارك المشكلة ويشيد الحكم الأموي ويقويه، فعمد إلى أختلاق وجعل الأحاديث التي تنفع بحاله وتقوم سياسته وتوضع بديلة عن الأحاديث الصحيحة وتنشر في المجتمع وتروى للناس(١).

ومن هنا أكتسحت مفترياته، وقرئت على الناس مختلقاته، وحقق معاوية بمكره ودهائه المعروف ما أراده على كلا الصعيدين وذلك عبر جهتين: فهو من جهة أعلن على المنبر عن منع كل حديث لم يسمع به في عهد عمر، ومن جهة أخرى عبأ الوضاعين وأكرم كل من يروي حديثاً في

مسنده ج٥: ٤٤ بأسناده عن المبارك عن الحسن عن أبي بكرة.

(١) أضواء على الصحيحين الشيخ محمد صادق النجمي ص٥٣.

فضائل عثمان وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله (المناوئون لعلي عليه السلام) وأكرمهم بالعطايا الجزيلة والهدايا الثمينة وحثهم على جعل الحديث ونقل الأكاذيب[1].

ومن أسباب سعي معاوية المذكور قال المعتزلي: كذب معاوية في الحديث ليرغم به أنوف بني هاشم[2].

قال المدائني[3]: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام المجاعة: أن برئت الذمة ممن روى من فضل أبي تراب (يعني الإمام علي عليه السلام وأهل بيته). فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته. وكان أشد الناس بلاءاً حينئذ أهـــل

الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف (لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام) فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم[4].

ثم كتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع البلدان:

(أنظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فأمحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه)، وشفع ذلك بنسخة أخرى: (من أتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم نكلوا به وأهدموا داره).

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما الكوفة، حتى أن

---

(١) هل أسلم أبو بكر مبكراً؟ ص ٢٠٨.

(٢) شرح النهج ج٣، ص ١٥.

(٣) العلامة المدائني هو أحد المتضلعين وجهابذة علم التاريخ، له مؤلفات عديدة نحو: خطب النبي، والأحداث، وخطب أمير المؤمنين، وكتاب الفاطميات، نقل عنه أبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أقوالاً وأراء كثيرة، توفي عام (٢٢٥ هـ) وكان عمره ٩٠ سنة، هل اسلم أبو بكر مبكراً، ص ٢٠٩.

(٤) أضواء على الصحيحين الشيخ محمد صادق النجمي: ٣٥.

الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاء والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى أنتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تديّنوا بها[١].

ومن جملة الأحاديث الموضوعة هو حديث (... أن يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين) فإن الإمام الحسن عليه السلام لم يصالح معاوية بل أجرى مهادنة فلو كان الإمام عليه السلام يريد الصلح لما خرج عليه السلام إلى معسكره وأستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره بأستحثاث الناس وإشخاصهم إليه، حيث يقول أبو الفرج الأصفهاني: وخرج الناس فعسكروا، ونشطوا للخروج، وخرج الحسن إلى معسكره، وأستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره بأستحثاث الناس وإشخاصهم إليه، فجعل يستحثهم ويخرجهم حتى التأم العسكر.

ثم إن الحسن بن علي سار في عسكر عظيم وعدة حسنة حتى أتى دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثاً حتى أجتمع الناس، ثم دعا عبيدالله بن العباس بن عبد المطلب فقال له: يا بن عم، إني باعث معك إثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقراء المصر، الرجل منهم يزن الكتيبة فسر بهم، وألن لهم جانبك، وأبسط وجهك...»[٢].

---

(١) نفس المصدر.
(٢) الحسن بن علي عليه السلام رجل الحرب والسلام للسيد محمد علي الحلو: ٨٨ ٨٩.

فإذا كان الإمام الحسن عليه السلام يهيئ ويعبئ الناس لقتال معاوية ونحن ليس في صدد هذا الموضوع وإنما نريد أن نبين أن الإمام الحسن لم يصالح معاوية (لعنه الله). بل أراد حربه وقتاله ولكن حدث ما حدث فحال بينه وبين قتال معاوية، ومن أراد الإطلاع فليراجع صلح الحسن للشيخ آل ياسين، والحسن بن علي رجل الحرب والسلام للسيد محمد علي الحلو.

إذن هذا الحديث من الأحاديث الموضوعة والمفتعلة لأسباب عدة نذكر منها ما يلي:

أولاً: إن الحديث وضع بهذه الصورة وبالذات فقرة: (بين فئتين عظيمتين من المسلمين) ليصبح معاوية وفئته الضالة من المسلمين العظماء وهذا الكلام يعطي لمعاوية الشرعية لتلك الخلافة والزعامة الظالمة ليتسلط على رقاب المسلمين ويكون كل ما قام به معاوية من أعمال ضد أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم أمر مشروع لأنه قائد عظيم لفئة عظيمة كما يعبر في الحديث.

ثانياً: ومن خلال هذا الحديث أيضاً سوف تكون الحروب التي حدثت أيام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام مشكوكة في شرعيتها لأن الإمام علي عليه السلام لم يصالح الفئة المقابلة وكأنه لو كان الإمام الحسن هو القائد لصالح عائشة ومعاوية وعمرو بن العاص بل لتنازل عن الخلافة لهم أيضاً فهل يعقل هذا والنبي صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: علي مع والحق مع علي.

فإذاً سوف تصبح تلك الحروب الثلاثة التي قادها أمير المؤمنين عليه السلام غير شرعية وهذا ما تريده وتتمناه بنو أمية والدولة الحاكمة آنذاك.

ثالثاً: ومن خلال ما سبق توضيحه سوف تطرح هذه التساؤلات أيضاً على واقعة الطف التي قادها الإمام الحسين بن علي عليه السلام ضد يزيد أبن

معاوية (لعنه الله) ولأصبحت خلافة يزيد شرعية أيضاً[١]

أذن هذا الحديث وإن عدوه البعض منقبة للإمام الحسن عليه السلام ألا أنه طعن واضح لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام ولأخيه الإمام الحسين عليه السلام وبذلك سوف يصبح معاوية وولده الفاجر يزيد هما أصحاب الشرعية وأصحاب الحق، فهل يعقل هذا وتأريخ معاوية وولده الفاجر المملوء بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فمن الذي أغتال عائشة وأخويها محمد وعبد الرحمن؟!

ومن قتل الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة؟!، ومن الذي قتل عمار بن ياسر (رضوان الله عليه) الذي قال في حقه النبي صلى الله عليه وآله: تقتلك الفئة الباغية.

فكيف أصبحت الفئة العظيمة؟!

ومن الذي قتل مالك الأشتر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وقائد جيش أمير المؤمنين عليه السلام وهو صائم؟!

ومن الذي قتل الصحابي الجليل عبدالله بن بديل الذي شهد مع النبي صلى الله عليه وآله فتح مكة وحنيناً وتبوك والطائف.

ومن الذي قتل أويس القرني وهاشم بن عتبة المرقال وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وسهل بن حنيف وحجر بن عدي وغيرهم أكثر من هذا.

فهل يعقل أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يصف من يقتل أهل بيته وأصحابه الأجلاء بالفئة العظيمة، وإذا قال قائل أن النبي لم يقصد معاوية بل قصد الفئة المسلمة التي يتزعمها معاوية.

قلت: من هي هذه الفئة؟! هل عمرو بن العاص الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله:

---

(١) كما صرّح بذلك مفتي الديار السعودية عبد العزيز آل الشيخ على أحد القنوات الفضائية.

اللهم العن عمرو بن العاص[١] من هذه الفئة العظيمة، أم الفئة العظيمة هي مروان أبن الحكم وبسر بن أرطاة وأبو الأعور السلمي والوليد بن عقبة بن أبي معيط وسمرة بن جندب والضحاك بن قيس الفهري وعمرو بن سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن سمية وعبيدالله أبن زياد وغيرهم من أهل الشرك والنفاق والغدر.

وهل يعقل أحد أن هذه الفئة الضالة تقابل تلك الفئة المتمثلة بسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام وأخوانهما كمحمد بن الحنفية وأبي الفضل العباس وغيرهم، وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أمثال حبيب بن مظاهر الأسدي وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وحجر بن عدي الكندي وسعيد بن قيس الهمداني وعدي بن حاتم الطائي وزياد بن صعصعة وأخرين من هذا الطراز.

وإذا كانت الفئة العظيمة التي يتزعمها معاوية فبالتالي سوف يكون معاوية زعيم العظماء ومن ثم يكون هو أعظمهم، نعم هو أعظمهم ظلماً وخيانة لله ولرسوله صلى الله عليه وآله فهو عظيم بجرمه وغدره بأهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم). ومن أجل دعم موقفه الخياني حرك أجهزته لتثبيت عنوان الصلح والتنازل عن الخلافة له بحديث نبوي، ليؤكد في وجدان الأمة على لياقة معاوية لهذه المهمة الخطيرة.

وإليك نص مناقشة السيد بحر العلوم للحديث المذكور:

١ـ يظهر أن الراوي الأصلي هو أبو بكرة. وهو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، صحابي من أهل الطائف، أبتعد عن الإمام علي عليه السلام يوم الجمل وصفين، ولم يحارب مع إمام زمانه المفروض طاعته عليه، وتخلفه عن الإمام عليه السلام في صفين لا لعذر شرعي، معناه مخالفته للإمام شرعاً، وموقفه السلبي تأييد بلون وآخر لمعاوية، وهو في حالة كونه خارج على الشرعية.

---

(١) منتخب كنز العمال ج٥: ٢٣٥.

٢ـ لقد روى أبو بكرة الرواية في عدة صور، ويظهر فيها أختلاف فظيع على سبيل المثال:

أـ أن النبي كان يصلي فجاء الحسن فوثب على ظهره... ثم قال....

ب ـ ومرة يقول: رأيت النبي على المنبر وحسن معه، وهو (أي النبي) يقبل على الناس مرة وعليه مرة، ويقول النبي....

ج ـ ومرة يقول: بينا النبي يخطب جاء الحسن، فقال النبي....

د ـ ويقول في رواية أخرى كان النبي يحدثنا يوماً والحسن بن علي في حجره فيقبل على أصحابه فيحدثهم، ثم يقبل على الحسن فيقبله، ثم قال الحديث....

هـ ـ وفي نص آخر يقول: بينا رسول الله يخطب إذ جاء الحسن فصعد إليه المنبر، فضمه النبي ومسح على رأسه، وقال: الحديث....

إن مقدمة الحديث حين ترد على عدة صور كما رأينا مع أن الراوي واحد، وهو أبو بكرة، لا شك تثير الريبة في قبولها، اللهم إلا النبي كان يعيد هذا الحديث عدة مرات، والظاهر أنه ذكره مرة واحدة بدليل أن الناقل له أبو بكرة، ولا يحتمل أن النبي ﷺ كان يكرر الخبر أمام أبي بكرة كلما يلتقي به.

ثم لماذا ينقل هذا الحدث ويشاهده فقط أبو بكرة، في حين أنه يظهر من مطاوي الحديث أن المصلين مع النبي ﷺ كانوا جماعة.

٣ـ إن مضمون الرواية يكاد يكون واحداً، لكن أختلافاً في اللفظ المكون للمضمون كما سنرى مما يدعو إلى التحفظ، ففي مجموع الروايات في هذا الصدد التي أطلعت عليها نرى أن الفقرة الرئيسية التي هي قطب الموضوع وردت بأربع صور، هي:

(إن أبني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به فئتين من المسلمين)

أو: (ولعل الله أن يصلح على يديه بين فئتين عظيمتين).
أو: (أن أبني هذا سيد ويصلح بين طائفتين من المسلمين).
أو: (أن أبني هذا سيد يصلح الله على يديه بين فئتين).
أو: (إن أبني هذا سيد وأرجو أن يصلح به بين فئتين من أمتي).

والإختلاف في اللفظ واضح للغاية، علماً أن الراوي يكاد يكون واحداً.

ثم يشير التاريخ إلى أن أبا بكرة حين ذاك كان مشركاً في الطائف، وأنه تدلى من حصن الطائف يوم حاصرها النبي، ولهذا سمي بأبي بكرة، والتحق بالإسلام، وذلك في السنة الثامنة للهجرة بعد فتح مكة، وأنتهى من معركة حنين، والحسن حينذاك في الخامسة من عمره، وليس من المعقول أن الحسن بهذا العمر كان يشب على ظهر جده في السجود[1].

والآن نقرأ نص ما كتبه السيد هاشم معروف الحسني:

(لقد شاع هذا الحديث بين المرويات عن النبي صلى الله عليه وآله في سبطه الحسن عليه السلام، ولعل مصدره الوحيد عن النبي أبو بكرة شقيق زياد بن عبيد لأمه سمية، ورواه البخاري في كتاب الصلح من صحيحه والإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن المبارك عن الحسن عن أبي بكرة، وورد نصه في الأصابة لأبن حجر على النحو التالي عن أبي بكرة، قال رأيت رسول الله على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: إن أبني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

وفي رواية البخاري ومسند أحمد عن أبي بكرة أنه قال: كان رسول الله يصلي بالناس وكان الحسن بن علي يثب على ظهره إذا سجد فعل ذلك

(١) بين يدي الإمام الحسن بن علي عليهما السلام: ١٥١.

مراراً، فقالوا له: يا رسول الله أنك لتفعل بهذا شيئاً ما رأيناك تفعله بأحد، قال أبو بكرة: فذكر شيئاً ثم قال: إن أبني هذا سيد وسيصلح الله تبارك وتعالى به بين فئتين من المسلمين.

وجاء في رواية العقد الفريد أن رسول الله ﷺ دخل على أبنته فاطمة فوجد الحسن طفلاً يلعب بين يديها فقال لها: إن الله سيصلح على يدي أبنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

بهذه الصيغ المتقاربة في المضمون روى المحدثون حديث نبوءة النبي ﷺ بما سيجري على يد سبطه الحسن الزكي من أصلاح بين فئتين عظيمتين من المسلمين على حد تعبير الراوي وأخذوا به وكأنه من المسلمات وقرت بهذه الرواية عين واضعها معاوية بن أبي سفيان لأنها اعتبرته أحدى الفئتين المسلمتين العظيمتين، في حين أن القرآن الكريم يراه من البغاة الذين يجب على المسلمين قتالهم حتى يفيئوا إلى أمر الله كما أعتبره النبي ﷺ باغياً كما يستفاد ذلك من قوله لعمار: تقتلك الفئة الباغية.

واعتبرها أكثر الشيعة كرامة للإمام أبي محمد الحسن لأن النبي أشاد بمقامه وفضله وتم على يده الإصلاح الذي تنبأ به جده الرسول الأعظم، وقد ذكرنا أسباب الصلح الذي تم بين الطرفين والمراحل الأليمة التي مر بها الحسن حتى أضطرته إلى الصلح حرصاً على مصلحة الإسلام بنحو لم يكن له خيار فيه.

أما الرواية فلا أشك بأنها من موضوعات أبي بكرة أو أنها وضعت ونسبت إليه ليثبت أن معاوية من المسلمين لا من البغاة بعد أن وصمه القرآن بهذه الصفة وأكدها النبي في حديثه مع عمار الذي رواه عن النبي أكثر الصحابة وكان من أكثر الأحاديث شيوعاً وأنتشاراً، وقد أقلق هذا الحديث معاوية بن هند بعد مقتل عمار وكـاد جيشه أن ينتقض عليه لولا أبن النابغة الذي أستطاع أن يضلل ويموه على الجيش، بأن الذي قتل عماراً

من جاء به إلى المعركة وغرر به وظلت وصمة البغي التي وصمه بها القرآن الكريم والرسول تقلقه حتى تيسر له أبو بكرة بن الحارث بن كلدة شقيق زياد من أمه سمية فوضع له الحديث ليكون هو وجماعته أحدى الفئتين المسلمتين.

ومما يدل على أنه من الموضوعات، أن الحديث المذكور لم يروه عن النبي سوى أبي بكرة وادعى أنه رأى الحسن إلى جانب جده على المنبر يلتفت إليه تارة وإلى المسلمين أخرى ثم قال:

إن أبني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين، وكما شاهده إلى جانبه على المنبر لا بد وأن يشاهده ويسمع منه جميع من كان حاضراً تحت منبره، فلماذا تفرد وحده بروايته، وفي الرواية الثانية أنه شاهده على ظهره وهو ساجد، وقد سأله المسلمون فقال لهم أنه سيد وسيصلح الله به.

وبالطبع فقد سمع منه على تقدير صدق الراوي جميع المصلين، ومع ذلك فلم يسند الحديث لغيره هذا بالإضافة إلى أن أبا بكرة كان منحرفاً عن علي وآل علي ولم يشترك معه في حروبه وهو الذي روى عن النبي ﷺ حينما خرج طلحة والزبير وعائشة على أمير المؤمنين حديث ستكون بعدي فتنة القاعد فيها خير من القائم ليخذل الناس عنه، وكان يرى أن الحروب التي دارت في البصرة وصفين قد دعا النبي إلى اعتزالها لأنها من نوع الفتن التي لا خير فيها للإسلام، وبالإضافة إلى كل ذلك فالذين رووا الحديث عن أبي بكرة يدعون أن النبي ﷺ قد قال ذلك للحسن وهو طفل في حدود الثلاث سنوات من عمره حينما كان يدرج ويصعد على ظهر النبي وهو يصلي وعلى منبره وهو يخطب في المسلمين، وأبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة يوم ذاك كان ولا يزال مشركاً في الطائف.

فقد جاء في تهذيب التهذيب لأبن حجر أن أبا بكرة شقيق زياد لأمه

سمية وكانت أمة للحارث بن كلدة ومضى يقول: وإنما سمي أبو بكرة لأنه تدلى من حصن الطائف يوم حاصرها النبي والتحق بالإسلام في السنة الثامنة للهجرة بعد أن فتح مكة وأنتهى من معركة حنين والحسن يوم ذاك في الخامسة من عمره أو أكثر من ذلك.

ومما يشير إلى أن الحديث من الموضوعات هو أن معاوية كان يردده بعد عام الجماعة مستبشراً به.

فقد جاء في مروج الذهب للمسعودي أنه لما صالح الحسن معاوية كبر معاوية بالخضراء وكبر أهل المسجد لتكبير أهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرضة من خوخة لها وقالت: سرك الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذي بلغك؟ فقال أتاني البشير بصلح الحسن وانقياده، فذكرت قول رسول الله: إن ابني هذا سيد أهل الجنة وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين فحمدت الله الذي جعل فئتي أحدى الفئتين المؤمنتين.

فلقد كبر مستبشراً لأن الحديث يجعله وفئته من المؤمنين، في حين أن حديث الرسول لعمار الذي رواه أكثر الصحابة يجعله وفئته من البغاة الذين يجب قتالهم حتى يرجعوا إلى أمر الله.

والغريب في المقام أن يقف الدكتور طه حسين من هذا الحديث موقفاً سطحياً بعيداً عن منطق الأحداث والظروف التي ترجح أن الحديث من الموضوعات التي لا واقع لها فبعد أن رجح صحة الحديث قال: لقد وقع هذا الحديث موقعاً من نفس الصبي أي موقع، وكأنه ذكره حين ثارت الفتنة وحاول بمشورته على أبيه في مواطنه تلك التي ذكرتها آنفاً أن يصلح بين هاتين الفئتين من المسلمين فيحقق نبوءة جده، وكأن بكاءه حين بكى لم يكن رفقاً بأبيه واشفاقاً فحسب، وإنما كان ذلك حزناً لأنه لم يحقق ما توسم به جده فيه، ومضى يقول: إن الحسن خرج في عدد ضخم من أهل العراق وكأنه خرج يظهر لهم الحرب ويدبر أمر الصلح فيما بينه وبين

معاوية ليحقق النبوءة.

ومحل الغرابة في حديث طه حسين هذا الموقف السطحي الذي وقفه من الإمام الحسن عليه السلام ومن الحديث المذكور، في حين أن النصوص التاريخية تؤكد أن فكرة الصلح لم تكن واردة عند الإمام أبي محمد الحسن حتى اللحظات الأخيرة، ولم يجنح إليها إلا بعد أن يئس من جدوى المقاومة ومن أخطارها على الإسلام كما ذكرنا، وأما الحديث الذي وقف عنده وكأنه اكتشف منجماً غنياً بالمعادن، فقد ذكرنا عيوبه وبعض الشواهد على أنه من موضوعات الأمويين للغاية التي ذكرناها)[١].

الى يثرب:

أخذ الإمام الحسن عليه السلام يتهيأ للسفر الى يثرب، ويترك البلد الذي خذله وخذل أباه من قبل، فقد أقدم المرتشون من معاوية والخوارج على قتله، وجرت ثلاث محاولات لأغتياله عليه السلام وسلم منها.

فقد ذكر زيد بن وهب الجهني أنه بعد أن جُرح الإمام عليه السلام في المدائن سألته عن موقفه الذي سيتّخذه في هذه الظروف، فأجاب عليه السلام: أرى والله معاوية خيراً لي من هؤلاء، يزعمون أنّهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي، والله لأن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي خيرٌ من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلتُ معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني اليه سِلْماً، فوالله لإن اسالمه وأنا عزيز خيرٌ من أن يقتلني وأنا أسيره أو يَمُنّ عليّ فتكون سُبّة على بني هاشم الى آخر الدّهر، ومعاوية لا يزال يَمُنّ بها وعقبه على الحيّ منّا والميت...»[٢].

وقد روى العلامة القندوزي في (ينابيع المودة) أنّ الإمام الحسن عليه السلام ألقى في الناس خطاباً جاء فيه: **أيّها الناس قد علمتم أنّ الله جلّ ذكره وعزّ**

(١) سيرة الأئمة الأثني عشر ج١، ص ٥٢٧ ـ ٥٣٠.
(٢) اعلام الهداية ج٤ ص١٤٩.

اسمه هداكم بجدّي وأنقذكم من الضلالة، وخلّصكم من الجهالة، وأعزّكم به بعد الذلّة، وكثّركم به بعد القلّة، وأنّ معاوية نازعني حقّاً هو لي دونه، فنظرت لصلاح الاُمّة وقطـــع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تُسالموا من سالمني وتحاربوا مَن حاربني، فرأيتُ أن اُسالم معاوية وأضعَ الحرب بيني وبينه، وقد صالحته ورأيتُ أنّ حقن الدماء خيرٌ من سفكها، ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقائكم ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء:١١١](١) (٢)".

والمهم أن الإمام هادن معاوية بن أبي سفيان بشروط، ولكن معاوية المعروف بالغدر والخيانة قد نقض تلك الهدنة حينما دخل الكوفة وخطب فيها فقال في خطابه: يا أهل الكوفة أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون؟ ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم، وقد أتاني الله ذلك وأنتم كارهون! ألا أن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين.....(٣).

وطبيعي أن السيدة زينب عليها السلام عاصرت هذه الأحداث الأليمة، وعلى أي حال فقد خرج الإمام من الكوفة وودّع الإمام وعائلته أباه أمير المؤمنين عليه السلام وخرج أهل الكوفة إلى توديعه وهم ما بين باك وآسف، يندبون حظهم التعيس، فقد أصبحت بلدهم مصراً من الأمصار بعد أن كانت عاصمة الدولة الإسلامية، وأصبحت القطع السورية من الجيش تدخل مصرهم وتسيطر عليهم، ويقام في بلدهم حكم أرهابي لا يعرف الرحمة ولا الرأفة.

وعلى أي حال، فقد أنتهى الإمام الى يثرب فخف أهلها الى أستقباله، فقد أقبل إليهم الخير، وحلّت في ديارهم السعادة.

وقد أفلت دولة الحق، وقامت على أنقاضها دولة الباطل، وكل ذلك

---

(١) اعلام الهداية ج٤ ص١٤٩.
(٢) وتوجد روايات أخرى تذكر الاسباب التي من أجلها هادن الإمام الحسن عليه السلام معاوية بن أبي سفيان ذكرها الشيخ راضي آل ياسين في كتابه (صلح الحسن) فراجع..
(٣) صلح الحسن ص٢٨٥.

من أعظم النكبات التي عانتها السيدة حفيدة الرسول ﷺ وعقيلة بني هاشم السيدة زينب فكانت عالمة بمجريات الأحداث ونتائجها التي كان منها ما عانته من الرزايا والخطوب في كربلاء[1].

الفاجعة الخامسة:

بعد ما أقام الإمام الحسن عليه السلام وأهل بيته في يثرب، وملأ رباعها بعطفه المستفيض ورقيق حنانه وحلمه وبالطبع كان وجود الإمام الحسن يقلق معاوية، ويعرقل بعض مخططاته الفاسدة. لذلك فكّر في تصفية الإمام الحسن عليه السلام.

دعا معاوية مروان بن الحكم لغرض أقناع جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي وكانت من زوجات الإمام الحسن عليه السلام بأن تسقي الحسن السمّ وكان شربة من العسل بماء رومة، فإن هو قضى نحبه زوّجها بيزيد،وأعطاها مائة ألف درهم.

وكانت جعدة هذه بحكم بنوّتها للأشعث بن قيس المنافق المعروف الذي أسلم مرتين بينهما ردّة منكرة أقرب الناس روحاً الى قبول هذه المعاملة النكراء.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: إنّ الأشعث شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنته جعدة سمّت الحسن، وابنه محمّد شرك في دم الحسين عليه السلام.

وهكذا تمّ لمعاوية ما أراد، وكانت شهادته عليه السلام بالمدينة يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة أو تسع وأربعين.

وحكم معاوية بفعلته هذه على مصير اُمة بكاملها، فأغرقها بالنكبات وأغرق نفسه وبنيه بالذحول والحروب والانقلابات، وتمّ له بذلك نقض المعاهدة الى آخر سطر فيها.

(١) السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام ص١٥٦ بتصرف قليل.

وقال الإمام الحسن عليه السلام وقد حضرته الوفاة: لقد حاقت شربته، وبلغ أُمنيته، والله ما وفى بما وعد، ولا صدق فيما قال[1].

وثقل حال الإمام عليه السلام واشتد به الوجع فأخذ يعاني آلام الإحتضار، فعلم أنّه لم يبق من حياته الغالية إلا بضع دقائق فالتفت الى أهله قائلاً: أخرجوني الى صحن الدار أنظر في ملكوت السماء.

فحملوه الى صحن الدار، فلمّا استقر به رفع رأسه الى السماء وأخذ يناجي ربه ويتضرع اليه قائلاً: اللّهم إنّي احتسب عندك نفسي، فإنّها أعزّ الأنفس عليَّ لم أصب بمثلها، اللّهم آنس صرعتي، وآنس في القبر وحدتي.

ثم حضر في ذهنه غدر معاوية به، ونكثه للعهود، واغتياله إيّاه فقال: لقد حاقت شربته، والله ما وفى بما وعد، ولا صدق فيما قال.

وأخذ يتلو آي الذكر الحكيم ويبتهل الى الله ويناجيه حتى فاضت نفسه الزكية الى جنة المأوى، وسمت الى الرفيق الأعلى، تلك النفس الكريمة التي لم يخلق لها نظير فيما مضى من سالف الزمن وما هو آتٍ حلماً وسخاءً وعلماً وعطفاً وحناناً وبرّاً على الناس جميعاً.

لقد مات حليم المسلمين، وسيّد شباب أهل الجنة، وريحانة الرسول وقرّة عينه، فأظلمت الدنيا لفقده، وأشرقت الآخرة بقدومه.

وارتفعت الصيحة من بيوت الهاشميّين، وعلا الصراخ والعويل من بيوت يثرب، وهرع أبو هريرة وهو باكي العين مذهول اللبّ الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس! مات اليوم حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فابكوا.

وصدعت كلماته القلوب، وتركت الأسى يحزّ في النفوس، وهرع

(١) اعلام الهداية ج٤ ص١٨٤ ١٨٥.

من في يثرب نحو ثوي الإمام وهم ما بين واجم وصائح ومشدوه ونائح قد نخب الحزن بهم كارثة أو حلت بهم مصيبة.

تجهيز الإمام وتشييعه:

وأخذ سيد الشهداء في تجهيز أخيه، وقد أعانه على ذلك عبدالله بن عباس وعبد الرحمن بن جعفر وعلي بن عبدالله بن عباس وأخواه محمد بن الحنفية وأبو الفضل العباس، فغسّله وكفّنه وحنّطه وهو يذرف من الدموع مهما ساعدته الجفون، وبعد الفراغ من تجهيزه ؛ أمر عليه السلام بحمل الجثمان المقدّس الى مسجد الرسول لأجل الصلاة عليه.

وكان تشييع الإمام تشييعاً حافلاً لم تشهد نظيره عاصمة الرسول، فقد بعث الهاشميّون الى العوالي والقرى المحيطة بيثرب من يعلمهم بموت الإمام، فنزحوا جميعاً الى يثرب ليفوزوا بتشييع الجثمان العظيم وقد حدّ ثعلبة ابن مالك عن كثرة المشيعين فقال: شهدت الحسن يوم مات، ودفن في البقيع، ولو طرحت فيه إبرة لما وقعت إلا على رأس إنسان.

وقد بلغ ضخامة التشييع أنّ البقيع ما كان يسع أحداً من كثرة الناس.

دفن الإمام عليه السلام وفتنة عائشة:

ولم يشكّ مروان ومن معه من بني اُمية أنّهم سَيَدفُنونَه عند رسول الله صلى الله عليه وآله فتجمّعوا لذلك ولبسوا السلاح، فلمّا توجّه به الحسين عليه السلام الى قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ليجدّد به عهداً ؛ أقبلوا اليهم في جمعهم، ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: ما لي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا اُحبّ؟

وجعل مروان يقول: يا رُبَّ هيجا هي خير مِن دَعَة، أيُدْفَنُ عثمانُ في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبيّ؟ لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف.

وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبني اُمية فبادر ابن عباس الى

مروان فقال له: ارجع يا مروان من حيث جئت فإنّا ما نريد دفن صاحبنا عند رسول الله ﷺ لكنّا نريد أن نجدّد به عهداً بزيارته ثم نردّه الى جدّته فاطمة بنت أسد فندفنه عندها بوصيته بذلك، ولو كان أوصى بدفنه مع النبي ﷺ لعلمت أنّك أقصر باعاً من ردّنا عن ذلك، لكنّه عليه السلام كان أعلم بالله وبرسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً، كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه.

ثم أقبل على عائشة وقال لها: وا سوأتاه! يوماً على بغل ويوماً على جمل، تريدين أن تطفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله، ارجعي فقد كُفيت الذي تخافين وبلغت ما تحبين والله منتصر لأهل البيت ولو بعد حين.

وقال الحسين عليه السلام: والله لو لا عهد الحسن بحقن الدماء وأن لا اُهريق في أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا.

ومضوا بالحسن فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف رضي الله عنها.

ووقف الإمام الحسين عليه السلام على حافة القبر، وأخذ يؤبّن أخاه قائلاً: رحمك الله يا أبا محمد، إن كنت لتباصر الحق مظانّه، وتؤثر الله عند التداحض في مواطن التقية بحسن الروية، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يداً طاهرة الأطراف، نقية الأسرة، وتردع بادرة غرب أعدائك بأيسر المؤونة عليك، ولا غرو فأنت ابن سلالة النبوّة ورضيع لبان الحكمة، فالى رَوْح وَريْحان وجنّة ونعيم، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم حسن الأسى عنه[1].

فلم يبقَ لزينب من أصحاب الكساء إلا الإمام الحسين عليه السلام بعدما ودعت رابع أهل الكساء إلى مثواه الأخير، فبقيت مع الإمام الحسين عليه السلام

---

(١) اعلام الهداية ج٤ ص١٨٩ ١٩٢.

وهو عندها يمثل أصحاب الكساء جميعهم، فكلما أشتاقت إلى واحد منهم ذهبت إلى الحسين، والحسين كذلك، بل أعطاها كل ما فقدته من أهل الكساء الأربعة أهل الكساء فصار لها خامس أهل الكساء كأهل الكساء.

أنفطر قلب السيدة زينب عليها السلام لمأساة أخيها وتجددت عليها المصائب والأحزان، ومما زاد في آلام السيدة وأحزانها، ما تعرضت لها جنازة أخيها من إساءة وهو أن كل ذلك ضاعف من أحزان السيدة زينب والهاشميين، لذلك ورد في التأريخ: أن نساء بني هاشم وفي طليعتهن السيدة زينب إستمرين في النياحة على الإمام الحسن عليه السلام شهراً كاملاً، وأظهرن الحداد، ولبس السواد سنة كاملة[1].

تجلدت عليها السلام، وكتمت الحسرات، وأخفقت الزفرات، زينب البطلة لم تخلق للبكاء والنحيب، إنها رمز الصمود، الإنسانية النبيلة، والمؤمنة الصابرة إنها بنت علي، ومن بني هاشم الذين (القتل لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة).

ولكن فراق الأحبة صعب ومرير، هل أنتهت الآلام بموت الإمام الحسن عليه السلام؟!

لم تنته المصاعب والحوادث المؤلمة وما رافق دفنه من الحزازات والآلام بل أخذت التيارات السياسية العاتية، تلوح بالأفق، وتنذر بمأساة لها خطرها الجسيم.

والسيدة زينب تعيش في دوامة التيارات بكل مآسيها وتقف إلى جانب أخيها الإمام الحسين عليه السلام القائم بأمر الرسالة المقدسة، التي أنتقلت إليه بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام.

والآن جاء دور الإمام الحسين عليه السلام، ولكن ليس لوحده بل معه شريكة ألا وهي بطلة كربلاء؟!

---

(١) المرأة العظيمة: ١٢٧.

زينب والحسين عليهما السلام

إن العلاقة بين السيدة زينب عليها السلام والإمام الحسين عليه السلام لم تكن منبعثة عن عاطفة القرابة فَحَسِبْ، بل عَرَفَ كل واحد منهما ما للآخرين مِن الكرامة، وجلالة القدر وعظِم الشأن.

بل لا يوجد ولم يوجد في العالم أخٌ وأخت تربطهما روابط المحبة والوداد مثل الإمام الحسين وأخته السيدة زينب، فإن كلاً منهما قد ضرب الرقم القياسي في مجال المحبة الخالصة، والعلاقات القلبية.

فقد جاء في التاريخ: أن الإمام الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن الكريم ذات يوم فدخلت عليه السيدة زينب، فقام من مكانه وهو يحمل القرآن بيده، كل ذلك أحتراماً لها[1].

بل كان هذا الحب والإجلال منذ الطفولة، يقول العلامة الجزائري في كتابه الخصائص الزينبية أن السيدة زينب عليها السلام منذ ولادتها وفي طول أيام رضاعها، كانت وبصورة محسوسة في المهد ساكنة هادئة ما دام كان أخوها الإمام الحسين عليه السلام عندها، أو بمنظر منها ومسمع، فإذا غاب شخصه عن عينها، وحجب صوته عن سمعها صرخت وبكت، فإذا رأته أو سمعت صوته سكنت وقرّت، وفرحت وسرت، وكان ذلك ملحوظاً منها ومشهوداً حتى أن أمها فاطمة الزهراء عليها السلام قصت ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وحكت له شدة العلاقة بين هذه الأخت وأخيها[2].

حينما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك تأثر كثيراً واغرورقت عيناه بالدموع

---

(١) زينب من المهد إلى اللحد: ٥٦، نقلاً عن كتاب ذخيرة العباد للمازندراني.

(٢) الخصائص الزينبية: ٢٤٠.

وتنفس الصعداء وقال: يا نور عيني، أبنتي هذه سترافق الحسين عليه السلام إلى كربلاء وستشاركه المصائب والبلايا[1].

وهنا ننقل هذه الرواية التي رواها سماحة الشيخ علي الرباني في كتابه (السيدة رقية) حيث يقول: (... ذهبت لزيارة آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي قدس سره فدار الحديث حول أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم وإذا بآية الله المرعشي يقول: عندما ولدت السيدة زينب عليها السلام أعطتها الصديقة الزهراء عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي والحسن عليهما السلام وكانت السيدة زينب عليها السلام مطبقة عينيها لم تفتحها في وجه أحدهم، إلا أنها حينما أخذها أخوها سيد الشهداء عليه السلام فتحت عيناها في وجهه المبارك.

وأضاف سماحته قدس سره فقال: وفي مجلس يزيد (لعنة الله عليه) كان الرأس الشريف ينظر إلى جميع الأسارى وهو على الرمح الطويل، إلا أنه عندما نظر حال أخته العقيلة عليها السلام أطبق جفنيه وجرت دموعه وكأنه عليه السلام يقول لها: أخيّ زينب لقد حفظتي لي عيالي، فجزاك الله خيراً ولا تزيدني خجلاً فوق خجلي[2].

هكذا عاشت السيدة زينب عليها السلام مع أخيها الحسين فهي لم تفارقه منذ الطفولة وإلى يوم الفاجعة الأليمة، وبعد الفاجعة كانت صورة الحسين عليه السلام لا تفارق عينيها وروحها.

زينب تخرج مع الحسين بأذن زوجها:

ذكرنا سابقاً أن السيدة زينب عليها السلام كانت ذات علاقة قوية وشديدة بأخيها الإمام الحسين عليه السلام حتى أنها كانت تزوره في اليوم أكثر من مرة، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم أن السيدة زينب عليها السلام لا تتحمل أن تفارق الإمام الحسين عليه السلام، بل كان يعلم أن زينب عليها السلام شريكة الحسين عليه السلام في

(١) سرور المؤمنين للشيخ الكاظميني نقلاً عن رياحين الشريعة: ج٣: ٤١.
(٢) السيدة رقية: ٢٣٨.

ثورته، وهي التي سوف تكمل مسيرة الإمام الحسين عليه السلام بعد أستشهاده، وعلى هذا حينما تقدم عبدالله بن جعفر لخطبة السيدة زينب عليها السلام أشترط أمير المؤمنين عليه السلام لإتمام الزواج شرطين وافق عليهما عبدالله:

الأول: وهو أن لا يمانع زينب عليها السلام من خروج من البيت لزيارة الإمام الحسين عليه السلام متى ما تشاء.

الثاني: وهو أنه إذا عزم الإمام الحسين عليه السلام على السفر فلا يمنعها من سفرها معه[1].

ومع هذين الشرطين إلا أن السيدة زينب عليها السلام وهي سيدة الأدب وربيبة الرفعة والكرامة والفضائل رأت أن تستأذن زوجها أحتراماً له.

همّ عبدالله بالكلام لكنه تلكأ وكأن حشرجات صدره طفحت لتلعثم لسانه، وتردد الدمع في مآقيه، فقال بصوت متعب آسف: (يا أبنة العم، كنت أود أن أكون برفقة أبن عمي وسيدي الحسين، لولا المرض الذي حال دون تحقيق هذا الشرف)[2].

وفي رواية أخرى: أن السيدة زينب عليها السلام أقبلت إلى زوجها عبدالله وهي باكية وقالت: يا ابن العم هذا الإمام الحسين عليه السلام أخي وشقيقي عزم على المسير إلى العراق، وأنت تعلم علاقتي به، ومحبتي له، وعدم صبري على فراقه، وحيث أن النساء لا يجوز لهن السفر ولا الخروج من البيت إلا برضى أزواجهن جئت إليك أطلب منك الإذن في السفر مع أخي الإمام الحسين عليه السلام..... فقال لها: يا بنت المرتضى ويا عقيلة بني هاشم، نهنهي عن نفسك، وهوني عليك، فأني لا أجهل علاقتك ولا أنسى مواقفك فافعلي ما شئت وحسبما تحبين، فأني عند رأيك، فسرت السيدة زينب عليها السلام من موقف أبن عمها عبدالله تجاهها وشكرته على ذلك[3].

---

(١) زينب الكبرى: ٤٣.

(٢) زينب عقيلة علي: ٦٧.

(٣) الخصائص الزينبية: ١٧٤.

والمهم أن السيدة زينب عليها السلام سيدة زمانها وهي العالمة الغير معلمة وهي من أهل بيت الوحي والرسالة فهي تعرف تكليفها الشرعي مع ثورة الإمام الحسين عليه السلام فهل من المعقول أنها تغضب زوجها؟!

فمن المؤكد أنها أخذت الأذن بالخروج قبل سفرها من زوجها عبدالله ابن جعفر حتى وأن لم يشترط الإمام علي عليه السلام على زوجها بالشرطين المذكورين، فإذا كانت السيدة زينب عليها السلام لم تعرف حقوق الزوج فمن التي تعرف ذلك وهي خريجة مدرسة الزهراء وعلي عليهما السلام.

وفي نفس الوقت هل يعقل أحد بأن زوجها عبدالله بن جعفر لم يعطها الأذن وهو الذي كان يتمنى أن يخرج لنصرة الإمام الحسين عليه السلام لولا المرض الذي أصابه أو العمى كما سنبين ذلك في بحث آخر، بل له ولد أو ولدان على ما سيأتي قتلا يوم الطف مع خالهما الإمام الحسين عليه السلام.

الحسين ينتظر زينب:

والنتيجة أن السيدة زينب عليها السلام خرجت من دارها وكان الإمام الحسين عليه السلام يترقب مجيئها وينتظر قدومها، أستقبلها بكل حفاوة وقد أغرورقت عيناه بالدموع، ورحب بها بكل ترحيب، ثم ضمها إلى موكبه بغاية من التبجيل والأحترام، وعاملها بما لم يعامل به أحداً ممن معه من النساء غيرها، مما يدل على جلالة شأنها، وعظيم منزلتها عند الله ورسوله وعند إمامها الإمام الحسين عليه السلام.

ويشهد لهذا التبجيل والأحترام الذي خصّ الإمام الحسين عليه السلام به أخته العقيلة زينب الكبرى عليها السلام من بين النساء، ما جاء في كتاب أسرار الشهادة، وغيره من الكتب الأخرى، وذلك عند التعرض لخروج موكب الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة يقول الراوي:

رأيت ما يقرب من أربعين محملاً مجهزاً بأجهزة ثمينة، مزيناً بستور

راقية، قد أعدت للنساء من بني هاشم وآل الرسول ﷺ عندها أقبل الإمام الحسين عليه السلام وقال لبني هاشم بأن يركبوا محارمهم من النساء، قال الراوي: وكنت وأنا في هذه اللحظات أفكر في سيدتي زينب عليها السلام وما سيكون من أمرها مع ما هي عليه من جاه وجلال، وعز ودلال، وإذا بي أرى شاباً يخرج من دار الإمام الحسين عليه السلام يلفت جماله الأنظار، ويبهت نوره الأبصار، وسيم رشيد، على خده خال، قد أقبل نحو المحامل، وهو يقول: يا بني هاشم طأطئوا رؤوسكم وابتعدوا عن المحامل، وإذا بأمرأتين موقرتين من خلفه تخرجان من الدار، وتجران ذيولهما عفة وحياءاً، قد حف بهما الجواري والغلمان، فقدم ذلك الشاب الوسيم واحداً من تلك المحامل وثنى رجله لتلك المرأتين الجليلتين وأخذ بيديهما الإمام الحسين عليه السلام واركبهما في محملهما. قال الراوي: فلما ركبتا المحمل سألت عنهما وعن الشاب الوسيم الذي ثنى رجله لهما؟ فقيل: أما الشاب فهو قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وأما المرأتان فهما السيدتان: زينب الكبرى وأم كلثوم بنتا أمير المؤمنين عليه السلام وبنتا رسول الله ﷺ وذريته إلى آخر ما جاء في الخبر[1].

نعم، خرجت السيدة زينب عليها السلام من المدينة بهذه الصورة التي لم تنساها وبقيت في ذاكرتها إلى يوم وفاتها، يحفها الوقار والحشمة والجلال والعظمة ويحيط بها إخوتها السادة الأبطال والليوث الشجعان كأنهم أقمار منيرة وأنجم زاهرة.

ولكن كيف كان حالها حينما خرجت من كربلاء وبأي صورة ومن الذي ثنى لها رجله؟! وكيف كان حالها حينما وصلت إلى المدينة؟!

زينب وابن عباس:

هناك روايات ذكرت بأن عبدالله بن عباس جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام ولما دنا منه قال له: (جُعلت فداك يا حسين، إن كان لا بد من المسير إلى

(١) الخصائص الزينبية: ١٧٤.

الكوفة فلا تسر بأهلك ونسائك وصبيتك، فإني والله لخائف أن تقتل وهم ينظرون إليك).

فقال الحسين عليه السلام: (يا ابن العم، إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وقد أمرني بأمر لا أقدر على خلافه، وإنه أمرني بأخذهن معي، يا ابن العم وإنهن ودائع رسول الله ولا آمن عليهن أحداً وهنّ لا يفارقنني).

فسمع أبن العباس بكاء من ورائه وقائلة تقول: (يا ابن العباس، تشير على شيخنا وسيدنا أن يُخَلِّفنَا ها هنا ويمضي وحده!! لا والله، بل نحيا معه ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره).

فبكى أبن العباس بكاءاً شديداً[1].

وهنا نقف مع هذه الرواية ونستنتج منها عدة أمور:

الأمر الأول: أن خروج السيدة زينب كان بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ذكرنا سابقاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله حدّث بذلك السيدة الزهراء عليها السلام لما سوف يجري على السيدة زينب عليها السلام.

الأمر الثاني: إن مشيئة الله سبحانه وتعالى أقتضت ذلك، وهذا ما صرّح به الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية (رضوان الله عليه) حينما قال للإمام الحسين عليه السلام: (... فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال).

فقال له الإمام الحسين عليه السلام: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: **(إن الله قد شاء أن يراهن سبايا)**[2].

فإن مشيئة الله تعالى أقتضت أن تكون السيدة زينب عليها السلام شريكة الإمام الحسين في ثورته، وهذا يدل على منزلة السيدة زينب عليها السلام وعظمتها

(١) مقتل الحسين السيد محمد تقي آل بحر العلوم: ص ١٥٧ نقلاً عن اللهوف لأبن طاووس: ص١٤، الخصائص الزينبية، رياض الشريعة: ج٣: ٤٢.
(٢) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٤، اللهوف: ٦٤-٦٥.

وقدسيتها.

الأمر الثالث: أنها وديعة رسول الله ﷺ عند الإمام الحسين عليه السلام فهو عليه السلام يريد أن يحافظ ويحامي على هذه الوديعة إلى آخر لحظة من حياته الشريفة ولذا ورد عنه عليه السلام[1]:

أحمي عيالات أبي أمضي على دين النبي

ويرى الشيخ المظفر: أن الحسين عليه السلام لو أبقى النساء في المدينة لوضعت السلطة الأموية عليها الحجر، لا بل أعتقلتها علناً وزجتها في ظلمات السجون، ولا بد له حينئذ من أحد أمرين خطيرين، كل منهما يشل أعضاء نهضته المقدسة!

أما الإستسلام لأعدائه وأعطاء صفقته لهم طائعاً ليستنقذ العائلة وهذا خلاف الإصلاح الذي ينشده وفرض على نفسه القيام به مهما كلفه الأمر من الأخطار، أو يمضي في سبيل إحياء دعوته ويترك المخدرات اللواتي ضرب عليهن الوحي ستراً من العظمة والإجلال، وهذا ما لا تطيق إحتماله نفس الحسين الغيور.

ولا يردع أمية رادع من الحياء، ولا يزجرها زاجر من الأسلام، أن أمية لا يهمها أقتراف الشائن في بلوغ مقاصدها وإدراك غاياتها فتتوصل إلى غرضها ولو بأرتكاب أقبح المنكرات الدينية والعقلية!

ثم يقول: (ألم يطرق سمعك سجن الأمويين لزوجة عمرو بن الحمق الخزاعي وزوجة عبيدالله بن الحر الجعفي، وأخيراً زوجة الكميت الأسدي)[2].

فكان لا بد للإمام عليه السلام من حمل هذه الودائع العزيزة ونسائه معه كيلا يعوق العدو من خلالها على مسار النهضة المقدسة.

---

(١) المناقب لأبن شهر آشوب ج٤:١١٠.
(٢) توضيح الغامض من أسرار السنن والفرائض ج١: ٣٤٤.

الأمر الرابع: أن الإمام الحسين عليه السلام لا يستطيع أن يفارق السيدة زينب عليها السلام وهي أيضاً لا تستطيع أن تفارقه فأن الزمان لم يبق لها غير الحسين عليه السلام فأنها ترى في شخص الإمام الحسين عليه السلام جدها رسول الله صلى الله عليه وآله ووالديها علي وفاطمة وشقيقها الأكبر الإمام الحسن عليه السلام ولهذا فهي لا تستطيع مفارقته ولو للحظة واحدة.

فهل توجد في العالم كله من آدم عليه السلام إلى يومنا هذا أخوة كأخوة زينب والحسين عليهما السلام التي لا ترضى إلا أن تموت أو تحيا معه عليها السلام.

الأمر الخامس: أن السيدة زينب عليها السلام علمت بأن الحسين سوف يقتل وتصير هي الراعية الأولى والوحيدة لعيال وأيتام الإمام الحسين عليه السلام فهي تعرف تكليفها الشرعي أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وأتجاه إمامها الحسين عليه السلام ا وبهذا أكملت مسيرتها مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام برباطة جأش وكمال معرفة، ولم تعتن بالأعذار التي أتى بها كل من أراد أن يزيحها عن هذا السبيل.

الأمر السادس: أن خروج السيدة زينب عليها السلام وعياله كان لحكمة ألهية ليكملوا ثورة الحسين عليه السلام بعد مقتله، كما حصل ذلك على أفضل وجه. وذلك بان يكونوا ناطقين أمام المجتمع بأهداف الحسين وأهمية مقتله والإزراء بأعدائه. ويمارسوا الأعلام الواسع حينما لا يكون الرجال قادرين على ذلك بعد موتهم واستئصالهم.

وهذا الأعلام كان ضرورياً للمجتمع تماماً، وإلا لذهبت حركة الحسين عليه السلام في طيِّ النسيان والكتمان، ولما أثرت أثرها البليغ في مستقبل الدهر. فكان من الضروري في الحكمة الإلهية وجود النساء معه لكي يعبرن عن الحسين ويدافعن عنه بعد مقتله.

ومن هنا (شاء الله أن يراهنَّ سبايا). لأن هذا السبي دليل عملي قاطع على فضاضة أعدائهم وما يتصفون به من القسوة واللؤم وعدم العناية بالدين،

وهذا وحده يكفي للإعلام إلى مصلحة الحسين عليه السلام فضلاً عن غيره.

وهذا التعريف المتأخر عن ثورة الحسين عليه السلام ليس لأجل مصلحة الحسين نفسه، ولا لمصلحة أصحابه المستشهدين معه، لأنهم نالوا بالشهادة ما رزقهم الله جل جلاله من المقامات العالية في الدار الآخرة. وإنما هذا الأعلام أراده الله سبحانه لأجل الناس وهداية المجتمع. فما يقال: من أنه إكمال لثورة الحسين عليه السلام، يراد به الجانب الظاهري في الدنيا، لا الجانب الباطني في الآخرة.

وهذا التعريف كما يصلح أن يكون تبكيتاً وفضحاً لأعداء الحسين عليه السلام في كل جيل. وردعاً عن التفكير في مثل هذه الجريمة النكراء لكل حاكم ظالم على مدى التاريخ. كذلك يصلح لهداية الناس نحو الحسين عليه السلام وبالتالي نحو دين الله (عزّ وجلّ) ونحو أهداف الحسين الإلهية، وبالتالي نحو طاعة الله عز وجل والتربية الصالحة في إطاعة الدين، وعصيان الشهوات والتمرد على كل ظلم وفساد، سواء في المجتمع أم في النفس الأمارة بالسوء[1].

وهنا نذكر ما قاله الشيخ كاشف في كتابه السياسة الحسينية:

(وهل نشك ونرتاب في أن الحسين لو قتل هو وولده... ولم يتعقبه قيام تلك الحرائر في تلك المقامات بتلك التحديات لذهب قتله جباراً، ولم يطلب به أحد ثاراً ولضاع دمه هدراً. فكان الحسين يعلم أن هذا عمل لا بد منه، وأنه لا يقوم به إلا العقائل، فوجب عليه حتماً أن يحملهن معه لا لأجل المظلومية بسببهن فقط، بل لنظر سياسي وفكر عميق، وهو تكميل الفرض وبلوغ الغاية من قلب الدولة على يزيد، والمبادرة إلى القضاء عليها قبل أن تقضي على الإسلام، ويعود الناس إلى جاهليتهم الأولى).

---

(١) أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ١٠٤.

السيدة زينب عليها السلام في الخزيمية:

روي أن الإمام الحسين عليه السلام لما نزل الخزيمية أقام بها يوماً وليلة، فلما أصبح أقبلت إليه أخته زينب عليها السلام فقالت: ألا أخبرك بشيء سمعته البارحة؟

فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك؟

فقالت: خرجت في بعض الليل فسمعت هاتفاً يهتف ويقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهد ... ومن يبكي على الشهداء بعدي

على قوم تسوقُهُمُ المنايا ... بمقدارٍ إلى إنجاز وعدِ

فقال لها الحسين عليه السلام: يا أختاه كلُ الذي قُضي فهو كائن[1].

السيدة زينب في كربلاء:

من هنا تبدأ السيدة زينب عليها السلام مسيرة الحزن والآهات، من هنا تسكب ولا تنقطع العبرات، من هنا تستعد زينب للبلاء والتضحية بكل معانيها، من هنا جسدت تلك البطولات، من هنا زينب تتحمل الوصايا الامانات، من هنا زينب تخرج ولكن ليس كما دخلت فقد دخلت مع أخوتها وأولادهم ومع أبنائها، ولكن خرجت بدونهم، بل تركتهم مضرجين بدمائهم، وبلا رؤوس، على رمضاء كربلاء، ومن هنا تنتهي حياتها مع أخوتها. بل ومع جدها وأبيها وأمها وأخيها، لأن كل هؤلاء كانت صورهم وحنانهم تجده عند الحسين عليه السلام. رحلة كانت تتهيأ لها منذ سنين عديدة. هنا رأت زينب مصائب حقاً لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا ، وإلى الآن التاريخ ما يزال يردد بطولاتها، وصبرها، وشجاعتها، وأمانتها، وأسرها، وحزنها،....

زينب، بنت مَنْ وأخت مَنْ، ولكن في كربلاء أصبحت هي الأم، والأب والأخت، والمعلمة، والزعيمة لقافلة الأيتام والنساء من بني هاشم.

---

(١) نفس الهموم: ١٧٩، الفتوح ج٥: ٣٦.

وصلت إلى كرب وبلاء، وخرجت وهي محملة بالكرب والبلاء، كربلاء التي لا تنساها، وأيضاً كربلاء لا تنسى زينب، فما دامت كربلاء إذن ما دامت زينب، فقد أصبحت كربلاء كربلاء الحسين وكربلاء زينب، كربلاء التي تتألف من جزئين هما الحسين وزينب عليهما السلام، وكلما ذكرت الحسين وزينب ذكرت كربلاء.

إن للسيدة زينب عليها السلام مواقف عديدة في كربلاء، وقد أحصينا الذي أحصيناه وأستطعنا أن ننقله نصاً للأمانة من المصادر التاريخية القديمة والمعتمد عليها عند علمائنا الأعلام.

زينب عشية[1] التاسع من المحرم:

روي إن عمر بن سعد نادى: يا خيل الله أركبي وأبشري! فركب في النّاس، ثمّ زحف نحوهم بعد صلاة العصر، وحسين جالس أمام بيته محتبٍ بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه! وسمعت أخته زينب الصيحة، فدنت من أخيها فقالت: يا أخي! أما تسمع الأصوات قد أقتربت؟

قال: فرفع الحسين رأسه فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال لي: إنّك تروح إلينا!

قال فلطمت أخته وجهها وقالت: يا ويلتا!

فقال: ليس لك الويل يا أخيتي! اسكتي رحمِك الرحمن[2] إلى أن تقول الرواية: فجاء العباس إلى الحسين عليه السلام فأخبره إلى أن تقول الرواية: فجاء العباس إلى الحسين عليه السلام فأخبره بما قال القوم، فقال: أرجع إليهم فإن أستطعت أن تؤخرهم إلى الغدوة وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني قد أحب الصلاة له وتلاوة كتابه والدعاء

---

(١) العشية: يقع العشي ما بين زوال الشمس إلى وقت غروبها، كل ذلك عشيٌّ، فإذا غابت الشمس فهو العشاء (لسان العرب، ١٥: ٦٠).

(٢) الأرشاد: ٣٣٤، الكامل في التاريخ: ج٤: ٥٦.

والأستغفار(١).

ونحن هنا لم نذكر الرواية بتمامها وإنما ننقل موضع الشاهد، وهو مواقف السيدة زينب عليها السلام في كربلاء، والمهم من هنا أخذت السيدة زينب عليها السلام تستعد وتتهيأ لأدارة القافلة.

ليت الموت أعدمني:

وروى الشيخ المفيد: قال علي بن الحسين عليه السلام: (إني جالسٌ في تلك العشية التي قُتل أبي في صبيحتها وعندي عمّتي زينب تمرّضني، إذ أعتزل أبي في خباء له وعنده جوين مولى أبي ذرّ الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يا دهرُ أُفٍّ لك من خليلِ　　كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيلِ　　والــدهر لا يقنع بالبديل
وإنّما الأمــر إلى الجليلِ　　وكــلُّ حيٍّ سالكٌ سبيلي

فأعادها مرتين أو ثلاثاً، حتّى فهمتها وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة فرددتها، ولزمتُ السكوت، وعلمتُ أن البلاء قد نزل، وأما عمّتي فإنها سمعتْ ما سمعتُ، وهي امرأة ومن شأن النساء الرقّة والجزع، فلم تملك نفسها إذ وثبت تجرُّ ثوبها وإنّها لحاسرة حتّى انتهت إليه.

فقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت أمّي فاطمة، وأبي عليّ، وأخي الحسن عليهما السلام! يا خليفة الماضين وثمال الباقين!

فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال لها: يا أُخيّة لا يُذهبنّ حلمَك الشيطان! وترقرقت عيناه بالدموع وقال: لو تُرك القطا لنام!

فقالت: يا ويلتاه! أفتغتصب نفسك اغتصاباً، فذاك أقرح لقلبي وأشدُّ على نفسي!

(١) الأرشاد: ٣٣٥، الكامل في التاريخ.

ثمّ لطمت وجهها! وهوت إلى جيبها فشقّته! وخرّت مغشيّاً عليها!

فقام إليها الحسين عليه السلام، فصبّ على وجهها الماء، وقال لها: **إيهاً يا أُختاه! إتقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي إن أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، وأنّ كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعيدهم، وهو فردٌ وحده، جدّي خيرٌ مني، وأبي خيرٌ منّي، وأمّي خيرٌ منّي، وأخي خيرٌ منّي، ولي ولكلّ مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أُسوة!**

فعزّاها بهذا ونحوه وقال لها: يا أُخيّة، إنّي أقسمتُ عليك فأبرّي قسمي، لا تشقّي عليَّ جيباً، ولا تخمشي عليَّ وجهاً، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت!

ثمّ جاء بها حتّى أجلسها عنده، ثمّ خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّب بعضهم بيوتهم من بعض، وأن يُدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت. فيستقبلون القوم من وجه واحد، والبيوت من ورائهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، قد حفّت بهم إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوّهم، ورجع عليه السلام إلى مكانه. فقام الليل كلّه يصلّي ويستغفر ويدعو ويتضرّع! وقام أصحابه كذلك يُصلّون ويدعون ويستغفرون[1].

الحسين في خيمة زينب:

وخرج عليه السلام في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات، فتبعه نافع بن هلال الجملي، فسأله الحسين عمّا أخرجه.

قال: يا ابن رسول الله! أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغي!

فقال الحسين عليه السلام: إنّي خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون!

ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع ويقول: هي هي والله! وعدٌ لا

(١) الارشاد: ٣٣٧، الكامل في التاريخ ج٤: ٥٨، البداية والنهاية ج٨: ٢١٨٨.

خُلف فيه!

ثم قال له: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟

فوقع نافع على قدميه يُقبّلهما ويقول: ثكلتني أمّي! إن سيفي بألف وفرسي مثله، فوالله الذي منَّ بك عليّ لا فارقتك حتّى يكلاّ عن فري وجري!

ثم دخل الحسين خيمة زينب، ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره، فسمع زينب تقول له: هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم؟ فإنّي أخشى أن يُسلموك عند الوثبة!

فقال لها: والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنيّة دوني استيناس الطفل إلى محالب أمّه.

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت، وأتيتُ حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعت منه ومن أخته زينب.

قال حبيب: والله، لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة!

قلت: إنّي خلّفته عند أخته، وأظنُّ النساء أفقن وشاركنها في الحسرة! فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجهونهنّ بكلام يطيّب قلوبهن!

فقام حبيب ونادى: يا أصحاب الحميّة وليوث الكريهة!

فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية! فقال لبني هاشم: إرجعوا إلى مقرّكم لا سهرت عيونكم! ثمّ التفت إلى أصحابه وحكى لهم ما شاهد وسمعه نافع.

فقالوا بأجمعهم: والله الذي منَّ علينا بهذا الموقف، لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة! فطب نفساً وقُرَّ عيناً!

فجزّاهم خيراً، وقال: هلمّوا معي لنواجه النسوة ونطيّب خاطرهن.

فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله! هذه صوارم فتيانكم آلوا ألا يغمدوها إلا في رقاب من يريد السوء فيكم! وهذه أسنّة غلمانكم أقسموا ألا يركزوها إلا في صدور من يفرّق ناديكم!

فخرجن النساء إليهم ببكاء وعويل وقلن: أيّها الطيّبون! حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين!

فضجّ القوم بالبكاء حتّى كأن الأرض تميد بهم[1].

زينب وعلي الأكبر:

بعد ما برز علي الأكبر بن الإمام الحسين عليه السلام وجعل يقاتل إلى أن قتل وقطعوه أرباً أرباً، فلما بلغت روحه التراقي نادى بأعلى صوته: يا أبتاه! هذا جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً! وهو يقول لك: العجل! فإن لك كأساً مذخورة!

فصاح الحسين: قتل الله قوماً قتلوك يا بُنيّ! ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله! على الدنيا بعدك العفا.

قال حميد بن مسلم: لكأنّي أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس طالعة، تنادي بالويل والثبور، تصيح: واحبيباه!

واثمرة فؤاداه! وانور عيناه! فسألت عنها فقيل: هذه زينب بنت

علي! ثمّ جاءت حتى انكبّت عليه، فجاء إليها الحسين حتّى أخذ بيدها وردّها إلى الفسطاط، ثمّ أقبل مع فتيانه إلى ابنه فقال: إحملوا أخاكم.

فحملوه من مصرعه حتّى وضعوه عند الفسطاط الذي يقاتلون أمامه[2].

---

(١) مقتل الحسين للمقرم: ٢١٨.

(٢) الأرشاد: ٣٤٧، البداية والنهاية ج٨: ٢١٩٥.

عون ابن زينب:

برز يوم عاشوراء إلى حومة الحرب لنصرة خاله سيد الشهداء عليه السلام وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً في المحشر

فقتل ثلاث فوارس وثمانية عشر راجلاً. قتله عبدالله بن قطنة الطائي(1).

أولاد السيدة زينب عليها السلام:

إن المشهور والمعروف، أن أولاد السيدة زينب عليها السلام الذين أستشهدوا في واقعة الطف هم أربعة، ولكن الواقع هو خلاف ذلك، وهذا ما تشير إليه أغلب المصادر المعتمد عليها عند العامة والخاصة، فمنهم من ذكر ولداً واحداً والثاني أو الأثنين هما أولاد زوجها عبدالله أي من أمهات أخرى ومنهم من قال أثنان لا أكثر. ومن هنا سوف نذكر ما ذكرته أغلب المصادر التأريخية ثم نناقش ذلك تباعاً.

إن أغلب المصادر التي تذكر أبناء عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام تعتمد على مصدر واحد ألا وهو (مقاتل الطالبيين) ومن ثم سوف نذكر ما ذكره صاحب مقاتل الطالبيين ثم نعرج إلى البقية:

أولاً: ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني (٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ):

ذكر أبو الفرج الأصفهاني ثلاثة من أبناء عبدالله بن جعفر (رضوان الله عليه)وهم:

١ـ عون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الأكبر:

أمه زينب العقيلة بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول

(١) ٢. مناقب آل أبي طالب ج٤: ١١٥، الارشاد: ٣٤٧.

الله ﷺ. ثم يقول: حدثني أحمد بن عيسى قال: حدثنا الحسين بن نصر عن أبيه عن عمر بن سعد عن أبي مخنف عن سليمان أبي راشد عن حميد بن مسلم:أن عبدالله بن قطنة التيهاني التميمي قتل عون بن عبدالله بن جعفر.

٢ـ محمد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام:

وأمه الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف بن ربيعة بن عثمان بن ربيعة بن عائذ بن ثعلبة....

وأمها ميمونة بنت بشر بن عمرو بن الحارث....

ثم يقول: قتله عامر بن نهشل التميمي فيما روى عن سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم بالإسناد الذي قدمناه.

٣ـ عبيدالله بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

وأمه الخوصاء بنت حفصة.

ذكر يحيى بن الحسن العلوي فيما حدثني به أحمد بن سعيد عنه:أنه قتل مع الحسين بالطف رضوان الله عليه وصلواته على الحسين وآله[1].

هذا نص ما ذكره الأصفهاني وهنا نلاحظ عدة أمور:

الأمر الأول: لو لاحظنا ما ذكره بالنسبة للأول والثاني أعني عون الأكبر ومحمد لوجدنا أن هناك أختلافاً واضحاً مع ما ذكره في الثالث أعني عبيدالله فإنه ذكر عون الأكبر ومحمد بسند واحد عن أحمد بن عيسى إلى أن يصل إلى حميد بن مسلم، بينما في عبيدالله فسنده عن أحمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن العلوي، هذا أمر.

والأمر الثاني: ذكر قاتل عون الأكبر وقاتل محمد ولم يذكر الذي قتل عبيدالله. نعم ذكر صاحب المناقب أن قاتله هو بشر بن حويطر القانصي كما سيأتي.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٦٠.

إذن عون الأكبر هو الأبن الوحيد للسيدة زينب عليها السلام الذي قتل مع خاله الحسين عليه السلام، أما محمد وعبيدالله فهم أبناء زوجها عبدالله بن جعفر من زوجته الأخرى.

والأمر الثالث: ذكر هنا عون الأكبر، وذكر في موضع آخر عون الأصغر حيث قال: وعون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وهو عون الأصغر والأكبر قتل مع الحسين بن علي عليهما السلام.

وأم عون هذا جمانة بنت المسيب بن نجية بن ربيعة....

وأمها من بني مرة بن عوف الغزاري.

والمسيب الذي هو والد جمانة أحد أمراء التوابين الذين دعوا على الخروج على أبن زياد (لعنه الله) والطالب بدم الحسين عليه السلام فقتلوه بعين الوردة ولـه صحبة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد شهد معه مشاهده.

وقتل عون يوم الحرة حرة واقم قتله أصحاب مسرف بن عقبة أخبرني بذلك أحمد بن محمد...[1].

ومن هنا ذكر الشيخ القمي في نفس المهموم قوله:

ينبغي أن يعلم أنه كان لعبدالله بن جعفر أبنان مسميان بهذا الأسم عون الأكبر وعون الأصغر،

أحدهما: أمه زينب العقيلة (سلام الله عليها)، وثانيهما أمه جماعة (جمانه) بنت المسيب بن نحبة الغزاري.

وأختلفت كلمات المؤرخين في الذي قتل مع الحسين عليه السلام، والظاهر أن المقتول بالطف هو الأكبر أبن زينب (سلام الله عليها).

والأصغر قتل يوم حرة واقم، قتله أصحاب مسرف بن عقبة الملعون.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٨٣.

قاله أبو الفرج[1].

إذن يتضح من خلال هذا كله أن عبدالله بن جعفر له ثلاث زوجات وهن السيدة زينب عليها السلام وجمانة والخوصاء.

ثانياً: الشيخ المفيد في المتوفى ٤١٣هـ:

ذكر الشيخ المفيد في أرشاده عون ومحمد فقط، حيث قال:

وحمل عبدالله بن قطبة الطائي على عون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله.

وحمل عامر بن نهشل التميمي على محمد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله[2].

هذا ما ذكره الشيخ المفيد، ولم يذكر أسماء أمهاتهما ولم يذكر أن عوناً هو الأكبر أو الأصغر، وكذلك لم يذكر أسم عبيدالله.

ثالثاً: الشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ):

وذكر الشيخ الطوسي محمد بن عبدالله بن جعفر من أصحاب الإمام الحسين، حيث ذكر ما نصه:

محمد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، قتل معه أي مع الإمام الحسين عليه السلام[3].

رابعاً: لوط بن يحيى بن مخنف وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أو من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام، على القول الذي يقول إن آباه كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وليس هو حيث قال:

حمل عبدالله بن قطبة الطائي ثم النبهاني على عون بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فقتله، وحمل عامر بن نهشل التميمي على محمد بن

---

(١) نفس المهموم: ٢٨٨.

(٢) الإرشاد: ٣٤٧.

(٣) رجال الشيخ الطوسي: ١٠٥، الرقم ١٠٣٧.

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فقتله[1]. فهو لم يذكر غير عون ومحمد.

خامساً: الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان، حيث ذكر[2] نفس ما ذكره لوط بن يحيى والظاهر أنه نقل هذا عن أبن مخنف.

سادساً: أبي جعفر محمد بن علي بن شهر أشوب صاحب المناقب: حيث قال: ثم برز محمد بن عبدالله بن جعفر وهو ينشد:

أشكو إلى الله من العدوان فعال قوم في الردى عميان
قد بدلوا معـالم القرآن ومحكم التنزيل والتبيـان
وأظـهـروا الكفر مع الطغيان

فقتل عشرة أنفس، قتله عامر بن نهشل التميمي، ثم برز أخوه عوناً قائلاً:

إن تنكروني فأنا أبن جعفر شهيد صدق في الجنان ازهر
يطير فيها بجنـاح أخضر كفى بهذا شرفـاً في المحشر

فقتل ثلاثة فوارس وثمانية عشر راجلاً، قتله عبدالله بن قطنة الطائي.

وروي أن عبيدالله بن عبدالله أخاه قتله بشر بن حويطر القانصي[3].

سابعاً: السيد محسن الأمين:

فقد ذكر محمد وعون فقط وذكر أن أمهما هي زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام[4].

ثامناً: أبو بشر محمد بن أحمد الأنصاري الرازي (٢٢٤ - ٣١٠):

روى روايتين، الأولى: عن أبي شهاب الزهري قال: وأما زينب أبنة

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام لأبن مخنف: ١٦٥.
(٢) اعلام الورى باعلام الهدى: ٢٥١.
(٣) مناقب آل أبي طالب ج٤: ١١٥.
(٤) مناقب آل أبي طالب ج٤: ٢٢٧.

علي فتزوجها عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فماتت عنده، وقد ولدت له علي بن عبدالله، وأخاً له آخر يقال له عون.

والثانية: عن طاهر بن يحيى بن الحسن، عن أبيه، قال: زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب، أمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، لها علي، وجعفر، وعون، وعباس، وأم كلثوم، بنو عبدالله[1].

تاسعاً: الشيخ محمد السماوي:

فقد ذكر عون وقال: أمه زينب العقيلة الكبرى....

وذكر محمد وقال: أمه الخوصاء....[2]

عاشراً: ما ذكره الشيخ جعفر النقدي في كتابه حياة السيدة زينب عليها السلام حيث قال: ولدت العقيلة زينب الكبرى لعبدالله بن جعفر الطيار (وكما في تاريخ الخميس ج٢ ص٣١٧) علياً وعوناً الأكبر وعباساً وأم كلثوم، وذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات جعفر الأكبر، وذكر السبط أبن الجوزي في تذكرة الخواص ص١١٠ محمداً، أما العباس وجعفر ومحمد فلم نقف لهم على أثر ولا ذكرتهم النسابة من المعقبين.

وأما علي وهو المعروف بـ (الزينبي) ففيه الكثرة والعدد...[3].

هذا كل ما نقلناه من المصادر الرئيسية والمهمة وأما الحديثة فأغلب مصادرها مما ذكرناه من المصادر المتقدمة التي ذكرناها تحت النقاط العشرة.

والآن سوف نعلق على ما ذكر في عدة نقاط:

الأولى: من خلال ما ذكره الأعلام يتضح أنهم متفقون على عون ومحمد أنهما كانا مع الإمام الحسين عليه السلام ومما يؤيد ذلك ما رواه الشيخ المفيد:

(١) الذرية الطاهرة: ١٦٤.
(٢) أنصار العين في انصار الحسين: ٧٢.
(٣) حياة السيدة زينب: ١٤٦.

أمر أبنيه عوناً ومحمداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه[١] أي مع الإمام الحسين عليه السلام.

أما عبيدالله فلم يذكره غير الأصفهاني وبسندٍ يختلف عن سند أخويه محمد وعون كما ذكرنا سابقاً. ولعل هذا مما تفردَ به أبو الفرج، وهو شقيق محمدٍ أباً وأماً.

علماً أنه من ذكر أسماء أولاد السيدة زينب لم يذكر أسم عبيدالله منهم. حتى أنه في زيارة الناحية ورد ذكر عون ومحمد ولم يذكر عبيدالله حيث ورد هكذا: (**السلام على عون بن عبدالله السلام على عون بن عبدالله بن جعفر الطيار في الجنان، حليف الإيمان، ومنازل الأقران، الناصح للرحمن، التالي للمثاني والقرآن، لعن الله قاتله عبدالله أبن قطبة النبهاني.السلام على محمد بن عبدالله جعفر الشاهد مكان أبيه، والتالي لأخيه، وواقيه ببدنه، لعن الله قاتله عامر بن نشهل التميمي**)[٢].

الإمام المهدي عليه السلام لم يذكر غير عون ومحمد أما عبيدالله فليس له أي ذكر في زيارة الناحية، مع أن الإمام عجل الله فرجه الشريف ذكر أسماء جميع الشهداء الذين أستشهدوا بين يدي الإمام الحسين عليه السلام.

ومن خلال هذا كله يتضح أن عون هو الأبن الوحيد للسيدة زينب الذي قتل في واقعة الطف فقط، وأمـا محمد وعبيدالله فهما أبناء زوجها.

الثانية: ذكر الشيخ الطوسي في رجاله إبراهيم بن محمد بن عبدالله الجعفري، أسند عنه[٣].

وقال الشيخ النمازي: هو إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن جعفر الطيار وأبنه يعقوب[٤].

---

(١) الأرشاد: ٣٢٠.

(٢) بحار الأنوار ج٩٨: ٢٧١.

(٣) رجال الطوسي: ١٥٦ رقم (١٧٢٦).

(٤) مستدرك علم رجال الحديث ج١٩٦:١ رقم ٤٥٤.

وذكره مع نسبه في البصائر حيث قال:

حدثنا أحمد بن محمد، عن القاسم بن يحيى، عن الحسن بن راشد عن يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال: سمعت إبراهيم بن وهب وهو يقول: خرجت وأنا أريد أبا الحسن عليه السلام بالعريض...[1].

وهذا يدل على أن محمد بن عبدالله كان متزوجاً قبل واقعة الطف، بل وكذلك أخته أم كلثوم بنت السيدة زينب أيضاً كانت متزوجة قبل واقعة الطف حيث جاء في ترجمة القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب: كان ملازماً لأبن عمه الحسين عليه السلام ولم يفارقه أبداً، وقد زوجه بنت عمه عبدالله بن جعفر وأمها زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام. وكان مع زوجته مع الحسين (صلوات الله عليه) في كربلاء، وخرج بعد عون بن جعفر وقاتل قتالاً شديداً وأستشهد. كذا في رجال المامقاني.

أقول: أسمها أم كلثوم بنت زينب الكبرى زوجّها الحسين عليه السلام به[2].

فلنقل أن عمر محمد يوم الواقعة ثمانية عشر أو تسعة عشر سنة على أقل تقدير وكان عمر السيدة زينب عليها السلام آنذاك أربعة وخمسون سنة وهذا يعني أن عمر السيدة زينب خمسة وثلاثين سنة وتزوج زوجها عبدالله بن جعفر الطيار، أي في حياة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام أو بعد وفاته بقليل وأنا لا أعتقد بذلك من عدة أمور:

الأمر الأول: بغض النظر عن حلية الزواج الثاني أو غيره، وإنما نحن هنا لا نتكلم من الناحية الفقهية ولكن نتكلم من الناحية الأخلاقية التي تربى عليها عبدالله بن جعفر، فإنه كان يعلم بموضع وشخصية السيدة زينب عند أبيها وأخويها (صلوات الله عليهم) ومهما يكن فأن المرأة قد تنزعج من

(١) بصائر الدرجات ج١: ٢١٨ رقم (٤٠٢).
(٢) مستدرك علم الرجال الحديث ج٧: ٢٥٥ رقم (١١٨٧٦).

ضرتها وإن كانت السيدة زينب أكبر من هذا، فلا أظن أن عبدالله بن جعفر قد يعمل هذا وهو يعرف مدى حب الإمام علي والإمامين الحسنين عليهما السلام للسيدة زينب عليها السلام وكان هو نفسه يجل السيدة زينب ويحترمها كما كان أمير المؤمنين للسيدة الزهراء عليها السلام فإنه عاش في كنف الإمام علي عليه السلام والإمام علي عليه السلام لو لم ير أن عبدالله كفؤٌ للسيدة زينب لما زوجها إليه.

الأمر الثاني: إن النبي صلى الله عليه وآله لم يتزوج في حياة السيدة خديجة إلا بعد وفاتها، وكذلك عمه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لم يتزوج في حياة السيدة الزهراء عليها السلام إلا بعد وفاتها، وهم يعلمون أن الزواج الثاني ليس فيه أي حرمة، وإنما عدم زواجهم في حياة السيدتين خديجة والزهراء عليهما السلام يدل على مدى حبهم وأحترامهم وأجلالهم للسيدتين العظيمتين. ومن هنا فإن عبدالله بن جعفر كان يدرك هذا الأمر من هذه الناحية.

الأمر الثالث: عندما دخلوا سبايا آل محمد إلى المدينة كان هناك عدة مواقف لبني هاشم ونسائهم، كأم البنين مثلاً، أو الرباب وفاطمة بنت الحسين، وعاتكة بنت زيد زوجة الإمام الحسين عليه السلام وأم سلمة وغيرهن، ولكن لا يوجد أي ذكر للخوصاء أو جمانة، لا قبل خروجهم ولا بعد رجوعهم إلى المدينة.

الأمر الرابع: روي أن معاوية كتب الى مروان وهو عامله على الحجاز يأمره أن يخطب أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر لأبنه يزيد، فأبى عبدالله بن جعفر فأخبره بذلك، فقال عبدالله: إن أمرها ليس اليّ إنما هو الى سيدنا الحسين وهو خالها.

فأخبر الحسين بذلك فقال: استخير الله تعالى، اللهم وفق لهذه الجارية رضالك من آل محمد.

فلما أجتمع الناس في مسجد رسول الله أقبل مروان حتى جلس الى الحسين عليه السلام وعنده من الجلّة وقال: إن أمير المؤمنين أمرني بذلك وأن

أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، ومع صلح ما بين هذين الحيين، مع قضاء دينه، واعلم أن من يغبطكم بيزيد أكثر ممن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفوء من لا كفوء له، وبوجهه يستسقى الغمام، فرُدَّ خيراً يا أبا عبدالله!!

فقال الحسين عليه السلام:الحمد لله الذي أختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه واصطفانا على خلقه... الى آخر كلامه.

ثم قال: يا مروان قد قلت فسمعنا، أما قولك مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية يكون اربعمائة وثمانين درهماً.

وأما قولك: مع قضاء دين أبيها، فمتى كن نساؤنا يقضين عنا ديوننا.

وأما صلح ما بين هذين الحيين فإنا قوم عاديناكم في الله، ولم نكن نصالحكم للدنيا، فلعمري فلقد أعيي النسب فكيف السبب!؟

واما قولك: العجب ليزيد كيف يستمهر من هو خيرٌ من يزيد ومن أب يزيد ومن جد يزيد.

وأما قولك: ان يزيد كفؤ من لا كفؤ له، فمن كان كفوه قبل اليوم فهو كفؤه اليوم، ما زادته إمارته في الكفاءة شيئاً.

وأما قولك: بوجهه يستسقى الغمام، فإنما كان ذلك بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما قولك: من يغبطنا به أكثر مما يغبطه بنا، فإنما يغبطنا به أهل الجهل، ويغبطه بنا أهل العقل.

ثم قال بعد كلام:فأشهدوا جميعاً أني قد زوجت أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة، أوقال: أرضي بالعقيق، وأن غلّتها في

السنة ثمانية آلاف دينار، ففيها لهما غنىً إن شاء الله.

قال: فتغير وجه مروان، وقال: أغدراً يا بني هاشم، تأبون إلا العداوة[١].

فإذا كان عبدالله بن جعفر لا يرضى بأعطاء رأيه في زواج أبنته فضلاً عن قبوله حيث قال: (إن أمرها ليس إلي إنما هو الى سيدنا الحسين وهو خالها)، فهل من المعقول كل هذا الإجلال والتعظيم والتقديس للإمام الحسين عليه السلام الذي لا يذكر أسمه بل تراه يقول: (سيدنا الحسين)، فهل من المعقول يتزوج على السيدة زينب عليها السلام في حياة الإمام الحسين عليه السلام.

الأمر الخامس: إنه يوجد أحتمال معتد به بل يقين وهو أن محمد أبن السيدة زينب عليها السلام، وهذا ما ذهب إليه السيد محسن الأمين والشيخ باقر القرشي[٢]، والشيخ جعفر النقدي.

والنتيجة من كل ما تقدم هو أنني لا أريد أن أنفي زواج عبدالله من الخوصاء أو جمانة، ولا أريد أن أقول أن محمد هو أبن السيدة زينب عليها السلام بدون دليل فإن الأدلة عندنا مفقودة، ولكن لم تأتِ أي رواية عن أئمتنا عليهم السلام تذكر حياة عمتهم السيدة زينب بالتفصيل وكل ما وصل إلينا من ناحية أولادها ليس من بيت العصمة والطهارة بل من بعض الرواة لا أكثر، ولما كان كذلك فلماذا لا ندعي العكس على ذلك ولو من باب الأحتمال ولو من بعض القرائن.

وعلى كل حال فإن السيدة زينب عليها السلام لو كان لها عشرة أولاد لقدمتهم بين يدي الحسين ولا تبالي، كيف لا وقد فدت نفسها للحسين، كيف لا وقد أماتها الحزن على سيد الشهداء عليه السلام. لأنها لا تستطيع أن تنساه ولو لحظة واحدة إلى أن أخرجوها من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، كما سيأتي ذلك أن شاء الله تعالى.

---

(١) مناقب آل ابي طالب ج٤: ٣٨، مع الركب الحسيني ج١: ٢٧٥-٢٧٦.
(٢) السيدة زينب رائدة الجهاد: ٤٤.

والمهم من خلال ما تقدم من المصادر التاريخية يتضح ما يلي:

١ـ أن للسيدة زينب عليها السلام شهيد واحد فقط وهو عون.

٢ـ كانت بصحبتها أبنتها أم كلثوم، وقد أستشهد زوجها في معركة الطف.

٣ـ يتضح أن عبدالله بن جعفر (رضوان الله عليه) متزوج بثلاث نساء إن لم يكن أكثر.

وإن كنا لا نعتقد بأن السيدة زينب عليها السلام فقدت أبن واحد في واقعة الطف بل كل من قتل من أولاد جعفر في كربلاء فهم من أبناء السيدة زينب عليها السلام لأننا نستبعد أن يكون لجعفر زوجة غير السيدة زينب عليها السلام خلال حياتها المباركة، نعم قد يكون تزوج بأمرأة أو أكثر ولكن بعد وفاتها لما بيناه سابقاً.

زينب وابن الحسن عليه السلام:

كان عبدالله غلاماً له من العمر إحدى عشرة سنة ، ولما رأى وحدة عمّه عليه السلام بين أعدائه الذين قد أحاطوا به بعد مقتل أنصاره، وكان نزف رأسه قد أشتد به من ضربة مالك بن النسر الكندي (لعنه الله)، خرج إليه عبدالله بن الحسن وهو غلام لم يراهق من عند النساء حتى وقف إلى جنب الحسين، فلحقته زينب بنت عليّ عليهما السلام لتحبسه، فقال لها الحسين عليه السلام:

(أحبسيه يا أختي) فأبى وامتنع عليها امتناعاً شديداً وقال: والله لا أُفارق عمّي! وأهوى أبجر بن كعب إلى الحسين عليه السلام بالسيف، فقال له الغلام: ويلك يا ابن الخبيثة أتقتل عمّي!؟ فضربه أبجر بالسيف فاتّقاها الغلام بيده، فأطّنها إلى الجلدة فإذا يده معلّقة، ونادى الغلام: يا أمّتاه! فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إليه وقال: (يا ابن أخي إصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يُلحقك بآبائك الصالحين).

ثم رفع الحسين عليه السلام يده وقال: (**اللّهمّ إن متّعتهم إلى حين ففرقّهم فِرقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا تُرض الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا، ثم عدوا علينا فقتلونا**)[1].

****

زينب والعباس

لم يبق الحسين بعد أبي الفضل إلا هيكلاً شاخصاً مُعرّى عن لوازم الحياة، وقد أعرب (سلام الله عليه) عن هذا الحال بقوله: (**ألآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي**).

ورجع الحسين إلى المخيّم منكسراً حزيناً باكياً، يكفكف دموعه بكمّه، وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادى: أما من مغيث يُغيثنا؟ أما من مجير يجيرنا؟ أما من طالب حقّ ينصرنا؟ أما من خائف من النّار فيذبّ عنا؟ فأتته سكينة وسألته عن عمّها، فأخبرها بقتله! وسمعته زينب فصاحت: وا أخاه واعبّاساه، وا ضيعتنا بعدك! وبكين النسوة وبكى الحسين معهن وقال: (**واضيعتنا بعدك!!**)[2].

زينب والوصية:

من جملة الأعمال المهمة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء قبل مقتله دفع الوصايا إلى إبنه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام حيث كان مريضاً ولم يستطع الجهاد بين يدي أبيه الحسين عليه السلام.

قال المسعودي: (ثم أحضر علي بن الحسين عليه السلام وكان عليلاً فأوصى إليه بالإسم الأعظم ومواريث الأنبياء عليهم السلام، وعرّفه أن قد دفع العلوم والصحف والمصاحف والسلاح إلى أمّ سلمة رضي الله عنها وأمرها أن تدفع جميع

(١) الأرشاد: ٣٤٩، الركب الحسيني ج٤: ٣٨٠.
(٢) الركب الحسيني ج٤: ٤٠٤، نقلا عن المقتل للسيد المقرم.

ذلك إليه)[١].

وكانت خلال هذه الفترة هي النائبة عن الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد روى الشيخ الصدوق في حديث عن السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام أنها قالت: إن الحسين بن علي أوصى إلى أخته زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في الظاهر وكان ما يخرج عن علي بن الحسين عليه السلام من علم ينسب إلى زينب بنت علي تستراً على علي بن الحسين عليه السلام[٢].

زينب وعمر بن سعد:

عندما سقط الحسين عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن بعد ما أثخن بالجراح ثم أستوى جالساً ونزع السهم من نحره، ثم دنا عمر بن سعد من الحسين ليراه، قال حميد بن مسلم وخرجت زينب بنت علي تقول:

ليت السماء أطبقت على الأرض! يا ابن سعد! أيُقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه!؟ فجعلت دموعه تسيل على خديه ولحيته، فصرف وجهه عنها، والحسين جالسٌ وعليه جُبّة خز، وقد تحاماه الناس، فصاح شمر: ويحكم ما تنظرون!؟ أقتلوه ثكلتكم أمهاتكم! فضربه زرعة بن شريك فأبان كفه اليسرى، ثم ضربه على عاتقه فجعل عليه السلام يكبو مرة ويقوم أخرى، فحمل عليه سنان أبن أنس في تلك الحال فطعنه بالرمح فصرعه، وقال لخولي بن يزيد: أحتزّ رأسه. فضعف وارتعدت يداه، فقال له سنان: فتّ الله عضدك وأبان يدك. فنزل إليه نصر بن خرشة الضبابي، وقيل: بل شمر بن ذي الجوشن، وكان أبرص، فضربه برجله، وألقاه على قفاه، ثم أخذ بلحيته! فقال له الحسين عليه السلام: أنت الكلبُ الأبقع الذي رأيته في منامي!!

فقال شمر: أتشبّهني بالكلاب يا ابن فاطمة؟ ثم جعل يضرب بسيفه مذبح الحسين عليه السلام ويقول[٣]:

---

(١) الركب الحسيني ج٤: ٤١٩.
(٢) كمال الدين: ٤٥٤.
(٣) الركب الحسيني، ج٤: ٤٢٩.

أقتلك اليوم ونفسي تعلمُ علمـــاً يقيناً ليس فيه مزعم
ولا مجـــالٌ لا ولاتكتم أنّ أبـــاك خير من يُكلَّم

كل هذا كان يحدث بمنظر من السيدة زينب عليها السلام.

فقد حاولت زينب رغم معرفتها بالعدو وشراسته وتعطشه للدماء والقتل، منعه من الأقدام على جريمة ذبح الحسين عليه السلام بعد أن سقط مثخناً بالجراح، وهو يجود بنفسه وقد حاولت إثارة نخوة عمر بن سعد الميتة بقولها له: (يا عمر بن سعد أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه).

غير أن هذا القائد المتخاذل لم يجد في نفسه الجرأة على منع جنده من أرتكاب الجريمة، خصوصاً وأن شمر كان على رأس فئة منهم كانت تريد تنفيذها بأيديها وبأسرع وقت، ولم يملك سوى أن يصرف وجهه عن المشهد المروع وربما لم يتمالك دموعه أن تسيل على وجهه ولحيته، كما روت لنا بعض كتب التاريخ، وأدرك عظم الجريمة التي كانوا يقدمون على أرتكابها.

وإذ أنها لمست فيه الضعف وعدم القدرة على الأستجابة لطلبها، فأنها توجهت إلى من كان يحيطون بالحسين عليه السلام مؤبنة: (ويحكم، أما فيكم مسلم، فلم يجبها أحد)[1].

فكانت تواجه أعداء أخيها عليه السلام وأعداء الإسلام بكل صلابة وثبات، ولم يفقدها حزنها النبيل على أخيها رباطة جأشها. ولم تعدم الكلام المناسب الذي تعبر به عن حزنها أو الذي تخاطب به أعدائها.

الحوراء تتعلق بزين العابدين:

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: قال حميد بن مسلم: فوالله لقد كنتُ أرى المرأة من نسائه وبناته وأهله تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تُغلب عليه

(١) الثورة الحسينية، ج٧: ١٨٩.

فيُذهب به منها، ثم أنتهينا إلى علي بن الحسين عليه السلام وهو منبسط على فراش وهو شديد المرض، ومع شمر جماعة من الرجّالة فقالوا له: ألا نقتل هذا العليل؟ فقلت: سبحان الله! أيُقتل الصبيان؟ إنما هو صبي وإنّه لما به! فلم أزل حتى رددتهم عنه.

وجاء عمر بن سعد فصاح النساء في وجهه وبكين، فقال لأصحابه: لا يدخل أحدٌ منكم بيوت هؤلاء النسوة، ولا تعرضوا لهذا الغلام المريض.

وسألته النسوة ليسترجع ما أُخذ منهنّ ليتسترّن به فقال: من أخذ من متاعهنّ شيئاً فليردّه عليهن!

فوالله ما ردّ أحدٌ منهم شيئاً، فوكّل بالفسطاط وبيوت النساء، وعليّ بن الحسين، جماعة ممّن كانوا معه وقال: إحفظوهم لئلاّ يخرج منهم أحد، ولا تُسيئُنّ إليهم!.

وروى ابن سعد في طبقاته قائلاً: (وكان عليّ بن الحسين الأصغر مريضاً نائماً على فراش، فقال شمر بن ذي الجوشن الملعون: أقتلوا هذا! فقال له رجل من أصحابه: سبحان الله! أتقتل فتىً حدثاً مريضاً لم يقاتل!؟

وجاء عمر بن سعد فقال: لا تعرضوا لهؤلاء النسوة ولا لهذا المريض).

وذكر القرماني في كتابه أخبار الدول قائلاً: (وهمّ شمر الملعون عليه ما يستحق من الله بقتل علي الأصغر ابن الحسين وهو مريض، فخرجت إليه زينب بنت علي وقالت: والله لا يُقتل حتى أُقتل)[1].

زينب تودع الجسد الشريف:

قال السيد أبن طاووس: ثم أخرجوا النساء من الخيمة وأشعلوا فيها النار، فخرجن حواسر مسلّبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلة، وقلن: بحقّ الله إلا ما مررتم بنا على مصرع الحسين! فلمّا نظر النسوة إلى

(١) الركب الحسيني، ج٦: ص٦٠-٦١.

القتلى صحن وضربن وجوههن، قال: فوالله لا أنسى زينب إبنة عليّ وهي تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب:

وامحمّداه صلى عليك مليك السماء، هذا حسينٌ بالعراء! مرمّل بالدماء! مقطع الأعضاء! واثكلاه! وبناتك سبايا! إلى الله المشتكى وإلى محمّدٍ المصطفى وإلى عليّ المرتضى وإلى فاطمة الزهراء وإلى حمزة سيّد الشهداء! وامحمّداه! وهذا حسينٌ بالعراء! تسفي عليه ريح الصبا! قتيل أولاد البغايا! واحزناه! واكرباه عليك يا أبا عبدالله! اليوم مات جدي رسول الله! يا أصحاب محمّد! هؤلاء ذريّة المصطفى يساقون سوق السبايا!!

وفي بعض الروايات:

وامحمّداه! بناتك سبايا! وذريتك مقتّلة تسفي عليهم ريح الصبا! وهذا حسينٌ محزوز الرأس من القفا! مسلوب العمامة والرداء! بأبي من أضحى عسكره في يوم الإثنين نهباً! بأبي من فسطاطه مقطع العرى! بأبي من لا غائب فيرتجى، ولا جريح فيداوى! بأبي من نفسي له الفداء! بأبي المهموم حتى قضى! بأبي العطشان حتى مضى! بأبي من يقطر شيبه بالدماء! يا بن علي المرتضى، يا بن خديجة الكبرى، يا بن فاطمة الزهراء سيدة النساء،...

بأبي من جده رسول إله السماء! بأبي من هو سبط نبي الهدى! بأبي محمد المصطفى! بأبي من رُدّت عليه الشمس حتى صلّى!

قال الراوي: فأبكت والله كلّ عدوٍّ وصديق.

ثّم إن سكينة أعتنقت جسد الحسين! فـاجتمع عدّة من الأعراب حتى جرّوها عنه!(١).

وفي مثير الأحزان: ومررن على جسد الحسين وهو معفر بدمائه! فندبت عليه زينب بصوت مشج وقلب مقروح... فأذابت القلوب القاسية، وهدت الجبال الراسية(٢).

---

(١) الركب الحسيني ج٥: ص٦٧ ٦٩.
(٢) مثير الأحزان: ٧٧.

العقيلة تخفف لوعة زين العابدين:

وجزع الإمام زين العابدين كأشد ما يكون الجزع حينما رأى جثمان أبيه وجثث أهل بيته وأصحابه منبوذة بالعراء لم ينبر أحد إلى مواراتها وبصرت به العقيلة وهو يجود بنفسه، وقالت له: (**مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأخوتي، فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تصرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة، والجسوم المضرجة فيوارونها، وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحي رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلا علواً...**)[1].

زينب تدخل الكوفة:

قال العلامة المجلسي: (رأيت في بعض الكتب المعتبرة روى مرسلاً عن مسلم الجصاص قال: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينما أنا أجصص الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة!

فأقبلت على خادم كان معنا، فقلت: مالي أرى الكوفة تضجُّ!؟

قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد.

فقلت من هذا الخارجي!؟

فقال: الحسين بن علي!

قال فتركت الخادم حتى خرج ولطمتُ وجهي حتى خشيتُ على عيني أن تذهب! وغسلت يدي من الجصّ، وخرجت من ظهر القصر وأتيتُ إلى الكناس، فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس، إذ أقبلت نحو أربعين شقّة تُحمل على أربعين جملاً، فيها الحرم والنساء

---

(١) كامل الزيارات: ٢٢١.

وأولاد فاطمة عليها السلام، وإذا بعلي ابن الحسين عليه السلام على بعير بغير وطاء! وأوداجه تشخب دماً! وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم ... يا أمة لم تراع جدّنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا ... يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيّرونا على الأقتاب عارية ... كأننا لم نشيّد فيكم دينا
بني أميّة ما هذا الوقوف على ... تلك المصائب لا تُلبون داعينا
تصفّقون علينا كفّكم فرحاً ... وأنتم في فجاج الأرض تسبونا
أليس جدي رسول الله ويلكم ... أهدى البرية من سُبل المُضلّينا
يا وقعة الطفّ قد أورثتني حزناً ... والله يهتك أستار المسيئينا

قال: وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أمُّ كلثوم (أو زينب) وقالت: يا أهل الكوفة! إن الصدقة علينا حرام! وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض.

قال كل ذلك والناس يبكون على ما أصابهم!

ثّم إن أم كلثوم (أو زينب) أطلعت رأسها من المحمل، وقالت لهم:

صه يا أهل الكوفة! تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم!؟ فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء!

فبينما هي تخاطبهنّ إذا بضجة قد أرتفعت، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام، وهو رأسٌ زهريّ قمريّ أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله، ولحيته كسواد السّبج قد أنتصل منها الخضاب، ووجهه دارة قمر طالع! والرمح تلعب بها (كذا) يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدّم المحمل، حتى رأينا الدّم يخرج من تحت

قناعها، وأومأت إليه بخرقة وجعلت تقول[1]:

يا هلالاً لما استتمَّ كمـالا	**غـاله خسفه فأبدى غروبا**
ما توهمت يـا شفيق فؤادي	**كـان هـذا مُـقـدّراً مكتوبا**
يا أخي فاطـم الصغيرة كلّمها	**فقد كـاد قلبها أن يذوبا**
يا أخي قلبك الشفيق عـلينا	**ما له قد قسى وصـار صليبا**
يا أخي ترى عليّاً لـدى الأسر	**مـع اليتم لا يطيق وجوبا**
كلمـا أوجعوه بالضرب ناداك	**بذلّ يُغيض دمعـاً سكوبا**
يا أخـي ضمّه إليك وقربه	**وسكّن فؤاده المرعوبـا**
مـا أذلّ اليتيم حين ينادي	**بـأبيه ولا يـراه مجيبا**

العقيلة عليها السلام وأبن زياد (لعنه الله):

وسيقت العقائل الهاشميات إلى قصر الإمارة في موكب تعسٍ لم تشهد الدنيا له مثيلاً من قبلُ ولا من بعد!

بناتُ النبي سبايا قد حُملن على أقتاب الجمال بغير وطاء! ممزقات الجيوب حواسر الوجوه! حافيات الأقـدام! يتقدمهن حملة الرؤوس على أسنة الرماح!

ويقول الشيخ المفيد: وأدخل عيال الحسين عليه السلام على أبن زياد، فدخلت زينب أخت الحسين في جملتهم متنكرة وعليها أرذل ثيابها، فمضت حتى جلست ناحية من القصر وحفّت بها إماؤها، فقال ابن زياد: من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد ثانية وثالثة يسأل عنها!

فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله.

---

(١) الركب الحسيني ج٥: ص ٩٤.٩٧.

فأقبل عليها ابن زياد وقال لها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم!

فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد ﷺ وطهرنا من الرجس تطهيراً، وإنما يُفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله.

فقال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت: كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّون إليه وتختصمون عنده!

فغضب ابن زياد واستشاط.

فقال عمرو بن حُريث: أيها الأمير! إنها أمرأة، والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها، ولا تذم على خطابها.

فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك.

وفي عبارة الطبري: فقال لها ابن زياد: قد أشفي الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك!

قال فبكت، ثم قالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت!

فقال لها عبيدالله: هذه سجّاعة! لعمري لقد كان أبوك شاعراً سجّاعاً!

قالت: ما للمرأة والسجّاعة!؟ إن لي عن السجاعة لشُغلاً، ولكن نفثي ما أقول[1].

وفي رواية ابن أعثم الكوفي والسيد ابن طاووس أن ابن زياد لمّا سأل زينب عليها السلام قائلاً: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟

---

(١) الأرشاد: ٣٥٣.

قالت: ما رأيتُ إلا جميلاً! هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم يا ابن زياد، فتحاجّون وتخاصمون، فانظر لمن الفلج يومئذٍ ثكلتك أمّك يا ابن مرجانة[1].

زينب تتعلق بالسجاد مرةً أخرى:

قال الشيخ المفيد: وعُرض عليه أي أبن زياد (لعنه الله) علي بن الحسين عليه السلام، فقال له: من أنت؟

فقال: أنا عليٌّ بن الحسين.

فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين!؟

فقال له علي عليه السلام: قد كان أخٌ يُسمى عليّاً قتله الناس.

فقال له ابن زياد: بل اللهُ قتله.

فقال علي بن الحسين: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢].

فغضب ابن زياد وقال: وبكَ جرأة لجوابي!؟ وفيك بقية للردّ عليَّ!؟ إذهبوا به فاضربوا عنقه!

فتعلّقت به زينب عمّته وقالت: يا ابن زياد حسبك من دمائنا!

واعتنقته وقالت: والله لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه.

فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة، ثم قال: عجباً للرحم! والله إني لأظنها ودّت أني قتلتها معه! دعوه فإني أراه لِما به![2]

وفي رواية ابن أعثم الكوفي: فالتفت ابن زياد إلى علي بن الحسين رضي الله عنه وقال: أولم يُقتل عليٌّ بن الحسين؟

---

(١) الركب الحسيني، ج٥: ص١٢٤ـ١٢٦، نقلاً عن الفتوح:٥: ١٤٢، وانظر: اللهوف: ٢٠١ وتهذيب الكمال: ٦: ٤٢٩ وسير أعلام النبلاء: ٣: ٣٠٩.

(٢) الارشاد: ٣٥٤.

قال: ذاك أخي، وكان أكبر مني، فقتلتموه، وإنّ له مطلاً[1] منكم يوم القيامة.

فقال ابن زياد: ولكن الله قتله!

فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

فقال ابن زياد لبعض جلسائه: ويحك! خذه إليك فأظنه قد أدرك الحلم؟ قال: فأخذه مري بن معاذ الأحمري، فنحّاه ناحية ثم كشف عنه فإذا هو أنبت، فردّه إلى عبيدالله بن زياد وقال: نعم، أصلح الله الأمير، قد أدرك.

فقال: خذه إليك الآن فاضرب عنقه!

قال: فتعلّقت به عمته زينب بنت عليّ وقالت له: يا ابن زياد! إنك لم تبق منّا أحداً، فإن كنت عزمت على قتله فأقتلني معه!

فقال علي بن الحسين لعمته: أُسكتي حتى أكلّمه.

ثم أقبل عليٌّ عليه السلام على ابن زياد فقال: أبالقتل تهدّدني!؟ أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة!

قال فسكت ابن زياد، ثم قال: أخرجوهم عني! وأنزلهم في دار إلى جانب المسجد الأعظم[2].

سجن ابن زياد:

روى الشيخ الصدوق بسند إلى حاجب عبيدالله بن زياد أن ابن زياد: لما جيئ برأس الحسين عليه السلام أمر فوضع بين يديه في طست من ذهب، وجعل يضرب بقضيب في يده على ثناياه ويقول: لقد أسرع الشيب إليك

---

(١) أي ان له حقاً وديناً عندكم يطالبكم به يوم القيامة.

(٢) الركب الحسيني ج٥: ١٢٧، الفتوح ج٥: ١٤٢.

يا أبا عبدالله!

فقال رجل من القوم: فإني رأيت رسول الله يلثم حيث تضع قضيبك!

فقال: يوم بيوم بدر!!

ثم أمر بعلي بن الحسين عليه السلام فَغُلَّ وحمل مع النسوة والسبايا إلى السجن، وكنت معهم، فما مررنا بزقاق إلا وجدناه ملاءً رجالاً ونساءً، يضربون وجوههم ويبكون، فحُبسوا في سجن وطُبق عليهم!

ثم إن ابن زياد (لعنه الله) دعا بعلي بن الحسين والنسوة، واحضر رأس الحسين عليه السلام وكانت زينب أبنة عليّ عليه السلام فيهم، فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحاديثكم! فقالت زينب عليها السلام:

الحمد لله الذي أكرمنا بمحمدٍ وطهرنا تطهيراً... يا ابن زياد حسبك ما ارتكبت منا فلقد قتلت رجالنا وقطعت أصلنا وأبحت حريمنا وسبيت نسائنا وذرارينا، فإن كان ذلك للإشتفاء فقد اشتفيت!

فأمر ابن زياد بردّهم إلى السجن، وبعث البشائر إلى النواحي بقتل الحسين[1].

ابن زياد يطلب من يُقوِّرُ الرأس المقدس:

روى الخوارزمي أنه: ولما جيء برأس الحسين إلى عبيدالله، طلب من يقوّره ويُصلحه، فلم يجسر أحدٌ على ذلك، ولم يحر أحدٌ جواباً، فقام طارق بن المبارك فأجابه إلى ذلك، وقام به فأصلحه وقوّره، فنصبه بباب داره.

وقال سبط ابن الجوزي: وذكر عبدالله بن عمر الورّاق في كتاب (المقتل) أنه لما حضر الرأس بين يدي ابن زياد أمر حجّاماً فقال: قوّره.

فقورّه وأخرج لغاديده ونخاعه وما حوله من اللحم واللغاديد ما بين

---

(١) آمالي الصدوق: المجلس ٣١، حديث ٣١.

الحنك وصفحة العنق من اللحم فقام عمرو بن حُريث المخزومي فقال: يا ابن زياد! قد بلغت حاجتك من هذا الرأس، فهب لي ما القيت منه.

فقال: ما تصنع به!؟ فقال: أواريه. فقال: خذه.

فجمعه في مطرف خزّ كان عليه، وحمله إلى داره، فغسّله وطيّبه وكفّنه ودفنه عنده في داره وهي بالكوفة تُعرف بدار الخزّ دار عمرو بن حريث المخزومي[1]زينب تسبى إلى الشام:

قال الشيخ المفيد: ثم إن عبيدالله بن زياد بعد إنفاذه برأس الحسين عليه السلام أمر بنسائه وصبيانه فجهّزوا، وأمر بعليّ بن الحسين فغُلّ بِغلّ إلى عنقه، ثم سرّح بهم في أثر الرأس مع مجفر بن ثعلبة العائذي، وشمر بن ذي الجوشن، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرأس، ولم يكن عليّ بن الحسين عليه السلام يكلّم أحداً من القوم في الطريق كلمة حتى بلغوا[2]. ولا أدري ماذا فعلت السيدة زينب عليها السلام عندما شاهدت الإمام السجاد عليه السلام بتلك الحالة وكيف كانت تصبّر الأيتام والنساء؟!.

ويقول السيد ابن طاووس: رأيت في كتاب المصابيح بإسناده إلى جعفر بن محمد عليهما السلام قال: قال لي أبي محمد بن علي: سألت أبي علي بن الحسين عن حمل يزيد له. فقال: حملني على بعير يطلع بغير وطاء! ورأس الحسين عليه السلام على علم! ونسوتنا خلفي على بغال، فأكفّ، والفارطة خلفنا وحولنا بالرماح، إن دمعت من أحدنا عين قُرع رأسه بالرمح! حتى إذا دخلنا دمشق صاح صائح: يا أهل الشام هؤلاء سبايا أهل البيت الملعون[3].

زينب وقاتل الحسين عليه السلام:

قال أبو الفرج الإصفهاني: وحمل (ابن زياد) أهله (الحسين عليه السلام)

(١) الركب الحسيني ج٥: ١٥١ نقلاً عن مقتل الحسين للخوارزمي.
(٢) الركب الحسيني ج٥: ١٨٤.
(٣) البحار ج٤٥: ٥٣.

أسرى وفيهم عمر وزيد والحسن بنو الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وكان الحسن بن الحسن بن علي قد ارتث جريحاً فحُمل معهم، وعلي ابن الحسين الذي اُمه أمّ ولد، وزينب العقيلة، وأمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وسكينة بنت الحسين لمّا أدخلوا على يزيد (لعنه الله) أقبل قاتل الحسين بن علي يقول[1]:

أوقر ركابي فضّة أو ذهبا فقد قتلت الملك المحجّبا
قتلت خير الناس أُمّاً وأبا وخيرهم إذ يُنسبون نسبا

وفي مقتل الخوارزمي بإسناده عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عليه السلام: ثمّ وضع الرأس في حقّة وأُدخل على يزيد، فدخلت معهم، وكان يزيد جالساً على السرير وعلى رأسه تاج مكلّل بالدرّ والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قريش، فدخل صاحب الرأس ودنا منه، وقال:

أوقر ركابي فضّة أو ذهبا فقد قتلت السيد المحجّبا
قتلت أزكى الناس أُمّاً وأبا وخيرهم إذ يذكرون النسبا

فقال له يزيد: إذا علمت أنه خير الناس لِمَ قتلته؟

قال: رجوت الجائزة!

فأمر بضرب عنقه، فحزّ رأسه...[2].

زينب في قصر يزيد:

قال القندوزي: ثم أمر يزيد الملعون أن يحضروا عنده حرم الحسين وأهل بيته، قالت زينب: يا يزيد أما تخاف الله ورسوله من قتل الحسين؟ وما كفاك ذلك حتى تستجلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله من العراق إلى الشام!

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٩.

(٢) بحار الأنوار ج٤٥: ١٢٨.

وما كفاك حتى تسوقنا إليك كما تُساق الإماء على المطايا بغير وطاء! وما قتل أخي الحسين (سلام الله عليه) أحدٌ غيرك يا يزيد، ولولا أمرك ما يقدر ابن مرجانة أن يقتله، لأنه كان أقل عدداً وأذل نفساً، أما خشيت من الله بقتله وقد قال رسول الله ﷺ فيه وفي أخيه: (**الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين**)؟، فإن قلت لا فقد كذبت، وإن قلت نعم فقد خصمت نفسك واعترفت بسوء فعلك.

فقال: (ذرية يتبع بعضها بعضاً). وبقي يزيد خجلاً ساكتاً[1].

يزيد وأبيات ابن الزبعري:

قال الخوارزمي: ثم كشف (يزيد) عن ثنايا رأس الحسين بقضيبه ينكته به وأنشد.. فقال بعض جلسائه: أرفع قضيبك فوالله ما أحصي ما رأيت شفتي محمد ﷺ في مكان قضيبك يقبّله! فأنشد يزيد:

يا غراب البين ما شئت فقل
إنما تندب أمراً قد فعل
كل ملك ونعيم زائل
وبنات الدهر يلعبن بكل
ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً
ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم
من بني أحمد ما كان فعل

---

(١) الركب الحسيني ج٦: ١٥٣.

لعبت هاشم بالملك فلا
خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل
قد أخذنا من عليّ ثارنا
وقتلنا الفارس الليث البطل
وقتلنا القرم من ساداتهم
وعدلناه ببدرٍ فاعتدل[1]

زينب تخطب في مجلس يزيد:

قال الخوارزمي: بعد ذكر تمثل يزيد بأبيات ابن الزبعري فقامت زينب بنت علي وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقالت: **الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، صدق الله تعالى إذ يقول:** ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠]. **أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء وأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى أن بنا على الله هوانا، وبك عليه كرامة؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده؟! فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مُستوسقةً، والأمور مُتسقةً، وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً! أنسيت قول الله تعالى:** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

أمِنَ العدل يا بن الطلقاء تخديرك إماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا؟! قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، يحدى بهن من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد،الدنيء والشريف، ليس معهن من رجالهن وليٌ، ولا من حماتهن حميٌ. وكيف ترجى المراقبة من لفظ فُوهُ أكباد السعداء، ونبت لحمهُ بدماء الشهداء؟!

(١) مقتل الخوارزمي ج٢: ٥٨.

وكيف لا يستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان؟! ثم تقول غير مُتأثمٍ ولا مستعظمٍ:

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تُشل

مُتنحياً على ثنايا أبي عبدالله عليه السلام تنكتها بمخصرتك؟

وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية آل محمد ونجوم الأرض من آل عبد المطلب؟!

أتهتف بأشياخك؟ زعمت تناديهم، فلتردنّ وشيكاً موردهم، ولتودّن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت.

اللهم خذ بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت إلا جلدك ولا جزرت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهاك حرمته في لحمته وعترته، وليخاصمنك حيث يجمع الله تعالى شملهم، ويلم شعثهم، ويأخذ لهم بحقهم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

فحسبك بالله حاكماً، وبمحمدٍ خصماً وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم من سوّل لك ومكنك من رقاب المسلمين، أن بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شرٌ مكاناً وأضعف جنداً.

ولئن جرت عليّ الدواهي مُخاطبتك، فإني لأستصغرُ قدرك، وأستعظم تقريعك، واستكبرُ توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى.

ألا فالعجب كلُ العجب بقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فتلك الأيدي تنطف من دمائنا، وتلك الأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفوها الذئاب، وتؤمها الفراعل،

ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، وأن الله ليس بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعول.

فكد كيدك، وأسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحضُ عنك عارها، ولا تغيب شنارها، فهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وشملك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين.

فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والرحمة، ولآخرنا بالشهادة والمغفرة.

وأسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، وحسن المآب، ويختم بنا الشرف، أنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير[1].

زينب وزوجة يزيد:

لما جاءوا بعائلة الإمام الحسين إلى الشام، دخلت إمرأة على هند وقالت لها: لقد أقبلوا بسبايا ولا أعلم من أين هم؟

فلعلك تمضين إليهن وتتفرجين عليهن؟!

فقامت هند ولبست أفخر ثيابها وتخمرت بخمارها، ولبست إزارها أي: عباءتها، وأمرت خادمةً لها أن ترافقها وتحمل معها الكرسي حتى لا تجلس على التراب.

وعند المساء أقبلت هند ومعها الخدم يحملون معهم القناديل لإضاءة الطريق. فلما رأتها السيدة زينب عليها السلام مُقبلةً همست في أذن أختها أم كلثوم وقالت: أُخيّه أتعرفين هذه الجارية؟

فقالت: لا والله.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٥: ١٣٣.

فقالت زينب: هذه خادمتنا هند بنت عبدالله!!

فسكتت أم كلثوم ونكّست رأسها!

وكذلك السيدة زينب نكّست رأسها.

فأقبلت هند وجلست على الكرسي قريباً من السيدة زينب، وقالت: أخيّه أراك طأطأتِ رأسكِ؟

فسكتت زينب ولم تردّ جواباً!

ثم قالت هند: أُخيّه من أيّ البلاد أنتم؟

فقالت السيدة زينب: من بلاد المدينة!

فلمّا سمعت هند بذكر المدينة نزلت عن الكرسي وقالت: على ساكنها أفضل السلام.

ثم التفتت إليها السيدة زينب وقالت: أراك نزلت عن الكرسي؟

قالت هند: إجلالاً لمن سكن في أرض المدينة!

ثم قالت هند: أُخيه أريد أن أسألك عن بيتٍ في المدينة؟

فقالت السيدة زينب: إسألي عمّا بدا لك.

قالت: أسألك عن دار علي بن أبي طالب؟

قالت لها السيدة زينب: ومن أين لك المعرفة بدار علي؟

فبكت هند وقالت: إني كنتُ خادمة عندهم.

قالت لها السيدة زينب: وعن أيما تسألين؟

قالت: أسألك عن الحسين وأخوته وأولاده، وعن بقية أولاد علي، وأسألك عن سيدتي زينب! وعن أختها أم كلثوم وعن بقية مُخدرات فاطمة الزهراء؟

فبكت زينب بكاءً شديداً، وقالت لها يا هند: أما إن سألت عن دار

علي فقد خلّفناها تنعى أهلها!.

وأما إن سألت عن الحسين فهذا رأسهُ بين يدي يزيد!!

وأما إن سألت عن العباس وعن بقية أولاد علي عليه السلام فقد خلّفناهم على الأرض.. مُجزّرين كالأضاحي بلا رؤوس!

وإن سألت عن زين العابدين فها هو عليلٌ نحيل.. لا يطيق النهوض من كثرة المرض والأسقام، وإن سألت عن زينب فأنا زينب بنت علي!! وهذه أم كلثوم، وهؤلاء بقية مُخدرات فاطمة الزهراء!!!

فلمّا سمعت هند كلام السيدة زينب رقّت وبكت ونادت: واإماماه! واسيداه! واحُسيناه! ليتني كنت قبل هذا اليوم عمياء ولا أنظر بنات فاطمة الزهراء على هذه الحالة، ثم تناولت حجراً وضربت به رأسها!! فسال الدم على وجهها ومقنعتها، وغُشي عليها.

فلما أفاقت من غشيتها أتت إليها السيدة زينب وقالت لها: يا هند قومي واذهبي إلى دارك، لأني أخشى عليك من بعلك يزيد.

فقالت هند: والله لا أذهب حتى أنوح على سيدي ومولاي أبي عبدالله، وحتى أدخلك وسائر النساء الهاشميات.. معي إلى داري!!

فقامت هند وحسرت رأسها وخرجت حافية إلى يزيد وهو في مجلس عام، وقالت: يا يزيد! أنت أمرت رأس الحسين يُشال على الرمح عند باب الدار؟

أرأس ابن فاطمة بنت رسول الله مصلوب على فناء داري؟!

وكان يزيد في ذلك الوقت جالساً وعلى رأسه تاج مُكلل بالدر والياقوت والجواهر النفيسة!

فلما رأى زوجته على تلك الحالة وثب إليها وغطاها وقال: نعم فاعولي يا هند وابكي على أبن بنت رسول الله وصريخة قريش، فقد عجّل عليه ابن

زياد (لعنه الله) فقتله.. قتله الله!!!

فلما رأت هند أن يزيد غطّاها قالت له: ويلك يا يزيد! أخذتك الحميّة عليّ، فلِمَ لا أخذتك الحميّة على بنات فاطمة الزهراء؟! هتكت ستورهنّ وأبديت وجوههن وأنزلتهن في دارٍ خربة!! والله لا أدخل حرمك حتى أدخلهن معي.

فأمر يزيد بهن إلى منزله وأنزلهم في داره الخاصة، فلما دخلت نساء أهل البيت عليهم السلام في دار يزيد، إستقبلتهن نساء آل أبي سفيان، وتهافتن يُقبلن أيدي بنات رسول الله وأرجلهن، ونحن وبكين على الحسين، ونزعن ما عليهن من الحلي والزينة، وأقمن المأتم والعزاء ثلاثة أيام...[1].

زينب والرجل الشامي:

قالت فاطمة بنت الحسين عليها السلام فلما جلسنا بين يدي يزيد ورقّ لنا، فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية يعنيني وكنت جارية وضيئة، فأرعدت وظننت أن ذلك جائز لهم، فأخذت بثياب عمتي زينب، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون.

فقالت عمتي للشامي: كذبت والله ولؤمت، والله ما ذلك لك ولا له!

فغضب يزيد وقال: كذبت! إن ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت!

قالت: والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها.

فأستطار يزيد غضباً وقال: إياي تستقبلين بهذا؟! إنما خرج من الدين أبوك وأخوك!

قالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي أهتديت أنت وجدك وأبوك إن كنت مسلماً.

---

(١) زينب من المهد الى اللحد: ٣٦٤.

قال: كذبت يا عدوة الله!

قالت له: أنت أمير، تشتم ظلماً وتقهر بسلطانك.

فكأنه أستحيا وسكت.

فعاد الشامي فقال: هب لي هذه الجارية.

فقال له يزيد: أعزب، وهب الله لك حتفاً قاضياً[1].

زينب تخرج من الشام:

ثم أن يزيد بعد ذلك أمر النعمان بن بشير أن يجهّزهم بما يصلحهم إلى المدينة الشريفة، وسيّر معهم رجلاً أميناً من أهل الشام في خيل سيّرها صحبتهم.. وأوصى بهم الرسول الذي سيّره صحبتهم، وكان يسايرهم وهو وخيله التي معهم، فيكون الحريم قدّام بحيث أنهم لا يفوتون، فإذا نزلوا تنحّى عنهم ناحية هو وأصحابه، وكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حالهم، ويتلطف بهم في جميع أمورهم، ولا يشقّ عليهم في مسيرهم، إلى أن دخلوا المدينة[2].

كرم زينب:

عن أبي مخنف قال: قال الحارث بن كعب: قالت لي فاطمة بنت علي: قلت لأختي زينب: يا أخيه، لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا، فهل لكِ أن نصله؟

فقالت: والله ما معنا شيء نصله به إلا حليّنا!

قلت لها: فنعطيه حليّنا؟

قالت: فأخذت سواري ودملجي، وأخذت أختي سوارها ودملجها، فبعثنا بذلك إليه، واعتذرنا إليه، وقلنا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيّانا بالحسن

---

(١) الارشاد: ٣٥٧.

(٢) نور الابصار ج٢: ٣٧.

من الفعل.

قالت: فقال: لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حليكنّ ما يرضيني، ولكن والله ما فعلته إلا لله، ولقرابتكم من رسول الله ﷺ[1].

زينب عند مسجد الرسول ﷺ:

قال العلامة المجلسي: روي في بعض مؤلفات أصحابنا: قال الراوي: وأما زينب فأخذت بعضادتي باب المسجد، ونادت: يا جداه، إني ناعية إليك أخي الحسين، وهي مع ذلك لا تجفّ لها عبرة، ولا تفتر من البكاء والنحيب، وكلما نظرت إلى علي بن الحسين تجدّد حزنها، وزاد وجدها[2].

زينب تستمر في رسالتها:

عن مصعب بن عبدالله، قال: كانت زينب بنت علي وهي بالمدينة تؤلب الناس على القيام بأخذ ثار الحسين، فلما قام عبدالله بن الزبير بمكة وحمل الناس على الأخذ بثأر الحسين وخلع يزيد، بلغ ذلك أهل المدينة، فخطبت فيهم زينب، وصارت تؤلبهم على القيام للأخذ بالثأر، فبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فكتب إلى يزيد يعلمه الخبر، فكتب إليه أن فرّق بينها وبينهم، فأمر أن ينادي عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء، فقالت: قد علم الله ما صار إلينا، قتل خيَرنا، وانسقنا كما تساق الأنعام، وحملنا على الأقتاب، فوالله لا خرجنا وإن أهريقت دماؤنا.

فقالت لها زينب بنت عقيل: يا بنة عماه، قد صدقنا الله وعده، وأورثنا الأرض نتبوأ منها حيث نشاء، فطيبي نفساً، وقرّي عيناً، وسيجزي الله الظالمين، أتريدين بعد هذا هواناً، أرحلي إلى بلد آمن.

ثم أجتمع عليها نساء بني هاشم، وتلطّفن معها في الكلام، وواسينها[3].

---

(١) نور الابصار ج٢: ٣٨، مقتل الحسين: ٢١٤.

(٢) بحار الانوار ج٤٥: ١٩٨.

(٣) أخبار الزينبيات: ١١٥.

هذا أغلب ما أستقصيناه من ذكر السيدة زينب عليها السلام من بداية خروجها من المدينة وحتى رجوعها. نعم، زينب شاركت بالرحلة الحسينية من أول خروجها وحتى رجوعها، ولكن بعض الروايات مثلاً تذكر وجاءت النسوة، أو فأستقبل الحسين عياله أو دخلوا إلى كربلاء فأقاموا عند الحسين، وغير ذلك من الروايات فإن زينب عليها السلام تكون في طليعة النسوة والعيال، وإن لم يذكر أسمها صريحاً لأنها أصبحت بعد مقتل الحسين عليه السلام هي الراعية الوحيدة لعياله من الأيتام والنساء والأرامل. ولكن نحن ذكرنا الروايات التي تصرح بأسمها المبارك وإن كنا أغفلنا عن الكثير.

إن الإنسانية لتنحني إجلالاً وخضوعاً أمام هذا الايمان الذي هو السر في خلود تضحية الحسين عليه السلام.

لقد تحملت بطلة كربلاء أعباء تلك المحن الشاقة، وتجرعت غصص تلك الأهوال محتسبة الأجر عند الله، وهي تتضرع بخشوع الى الله أن يتقبل ذلك القربان، حيث وقفت على ذلك الجثمان العظيم الذي مزقته السيوف، وجعلت تطيل النظر إليه، ورفعت بصرها نحو السماء وهي تدعو بحرارة قائلة: **(اللهم تقبل منا هذا القربان)**[1].

فأي صبر يماثل هذا الصبر؟!

والمهم أصبحت بطلة المعركة الكبرى، ولقد أدت واجبها بأحسن وجه، وعبر مواقف منها:

١ـ متابعتها لإمام زمانها وأبن أخيها علي بن الحسين عليه السلام، الذي عرّفته أمام يزيد بقولها هو المتكلم.

٢ـ وقوفها الصلب أمام الطاغية يزيد.

٣ـ تأثير كلامها في أوساط المجتمع الشامي، وخاصة في مجلس يزيد.

(١) حياة الإمام الحسين (ع) ج٣: ٣٢٥.

٤ـ تأثيرها البالغ في قلب العاصمة وفي بيت يزيد.

٥ـ موقفها العاطفي أمام رأس أخيها الحسين بحيث قلبت المجلس، إلى حد قولهم: فأبكت والله كل من كان.

٦ـ إلقاء خطبتها الغراء في مجلس يزيد، التي تضمّنت معانٍ عالية ومضامين راقية وبراهين متقنة[1].

قبر السيدة زينب:

من الأسرار المكنونة عند الإمام المهدي عجل الله فرجه هو معرفة موضع قبر أمه الزهراء عليها السلام وأن كان هذا هو رمز مظلوميتها عليها السلام حيث أنها البنت والوريثة الوحيدة لرسول الله ورسول الإنسانية صلى الله عليه وآله لا يعرف أين قبرها إلى الآن؟! وشاء الله أن تكون أبنتها السيدة زينب كذلك.

فهناك ثلاثة أقوال في موضع قبر السيدة الزهراء، وهي:

القول الأول: أنها دفنت في بيتها[2].

القول الثاني: أنها دفنت في الروضة[3].

القول الثالث: أنها دفنت في البقيع[4].

وأما قبر السيدة زينب عليها السلام فايضاً كذلك:

والفرق واضح، فإن الأقوال الثلاثة في قبر السيدة الزهراء عليها السلام في مكان واحد وهي مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله بل في منطقة واحدة، ومكان واحد، ولكن قبر أبنتها زينب عليها السلام في ثلاث بلدان كل يبعد عن الآخر أكثر من الألف كيلو فمنهم من يقول في المدينة، ومنهم من يقول في مصر، ومنهم من يقول في

(١) الركب الحسيني ج٦: ٢٤٠.

(٢) معاني الأخبار: ٢٨٦، بحار الانوار ج٣: ١٨٥، الكافي ج١.

(٣) معاني الأخبار: ٢٦٧، بحار الانوار ج٤٣: ١٧١.

(٤) بحار الانوار ج٤٣: ١٨٧.

سوريا. إذن زادت البنت على أمها في المصائب والبلاء بل حتى في مدفنها وموضع قبرها.

فالسلام عليك يا سيدتي زينب يوم ولدت، ويوم مت، ويوم تبعثين حيةً.

المصادر

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ أعلام الهداية: المجمع العالمي لأهل البيت /قم/ط الثالثة.

٣ـ أسرار الشهادة: للأخوند ملا أقا الشهير بالدربندي ، ذوي القربى، قم الطبعة الثانية.

٤ـ المناقب آل أبي طالب: أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب، ذوي القربى، قم، الطبعة الأولى.

٥ـ الكامل في التاريخ: لعز الدين المعروف بإبن الأثير، دار أحياء التراث العربي بيروت.

٦ـ البداية والنهاية: لأبن كثير الدمشقي.

٧ـ أضواء على ثورة الحسين: السيد الشهيد محمد الصدر، مؤسسة العارف بيروت، الطبعة الأولى.

٨ـ الكافي: للشيخ الكليني.

٩ـ الميزان: آل أبي طالب: السيد محسن الأمين، دار الهادي بيروت، الطبعة الأولى.

١٠ـ الخصائص الزينبية: للسيد نور الدين الجزائري، المكتبة الحيدرية، قم، الطبعة الأولى.

١١ـ البرهان: للسيد هاشم البحراني.

١٢ـ الدر المنثور للسيوطي.

١٣ـ الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام: للشيخ أسماعيل الأنصاري الخوئيني

١٤ـ الأرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ محمد بن النعمان العكبري، الملقب بالشيخ المفيد، أنتشارات محبين، قم، الطبعة الأولى.

١٥ـ بحار الأنوار: للمولى محمد باقر المجلسي، الأميرة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٦ـ بيت الأحزان: للشيخ عباس القمي، دار التعارف، بيروت، ط، الأولى.

١٧ـ بصائر الدرجات: للشيخ حسن بن فروخ الصفار ، المكتبة الحيدرية، قم، ط الاولى.

١٨ـ أعلام النساء المؤمنات: للشيخ محمد الحسون، دار الأسوة، قم، ط الأولى.

١٩ـ سيرة المصطفى: السيد هاشم معروف الحسني، المكتبة الحيدرية، قم، ط الأولى.

٢٠ سيرة سيد المرسلين: للشيخ جعفر السبحاني، دار الأضواء بيروت، ط الاولى.

٢١ـ سيرة الإئمة الأثني عشر: السيد هاشم معروف الحسني، المكتبة الحيدرية، قم، ط الثالثة.

٢٢ـ أعلام الورى: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي بيروت، ط الاولى.

٢٣ـ مقتل الحسين: للمقرم، نشر الشريف، قم.

٢٤ـ مقتل الحسين: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف، جايخانة

علمية، قم، ١٣٦٤ هـ.

٢٥ـ مقتل الحسين: للسيد محمد تقي آل بحر العلوم، مكتبة العلمين النجف الأشرف، ط الاولى.

٢٦ـ مقاتل الطالبيين: لأبي الفرج الأصفهاني، مطبعة الديواني بغداد.

٢٧ـ المجالس المرضية: للشيخ مهدي تاج الدين، المكتبة الحيدرية، قم، ط الاولى.

٢٨ـ منتهى الآمال: للشيخ عباس القمي، محبين، قم ط الثالثة.

٢٩ـ مستدركات علم الرجال: الشسخ علي النمازي الشاهرودي، مؤسسة نشر الإسلامي، قم، ط الأولى.

٣٠ـ موسوعة الغدير: لعبد الحسين الأميني، دار الكتاب العربي بيروت.

٣١ـ موسوعة الثورة الحسينية: للشيخ محمد نعمة السماوي، دار المرتضى بيروت.

٣٢ـ حياة الإمام الحسين: للشيخ باقر شريف القرشي، المؤسسة الإسلامية، قم، ط العاشرة.

٣٣ـ حياة السيدة فاطمة الزهراء: للشيخ باقر القرشي، الذخائر الإسلامية، قم، ط السادسة.

٣٤ـ حياة السيدة زينب: الشيخ جعفر النقدي، مؤسسة الاعلمي بيروت، ط الثانية.

٣٥ـ المرأة العظيمة: للشيخ حسن الصفار، دار البيان العربي بيروت، ط الأولى

٣٦ـ زينب الكبرى بطلة الحرية: مرسسة البلاغ بيروت، ط الثانية.

٣٧ـ زينب من المهد إلى اللحد: للسيد محمد كاظم القزويني، دارئ

القارئ بيروت، ط الثانية.

٣٨ـ الحسن بن علي رجل الحرب والسلام: للسيد محمد علي الحلو، مؤسسة السبطين العالمية، قم، ط الأولى.

٣٩ـ حياة السيدة خديجة: للشيخ باقر شريف القرشي، آيات، النجف الأشرف.

٤٠ـ زينب والظالمون: محسن المعلم، دار الهادي بيروت، ط الأولى.

٤١ـ تظلم الزهراء: للمولى رضي بن بني القزويني، منشورات الشريف الرضي. قم، ط الأولى.

٤٢ـ كمال الدين وتمام النعمة: للشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، قم، ط الأولى

٤٣ـ الخصائص الزينبية، المكتبة الحيدرية، قم، ط الأولى.

٤٤ـ الركب الحسيني: مركز الدراسات الإسلامية، قم، ط الثالثة.

٤٥ـ السيدة زينب رائد الجهاد في الإسلام: الشيخ باقر القرشي، دار الثقافة بيروت.

٤٦ـ صحيح البخاري: لمحمد بن أسماعيل البخاري، دار المعرفة، بيروت.

٤٧ـ هل أسلم أبو بكر مبكراً: للشيخ نجاح الطائي، دار الهدى بيروت، ط الأولى.

٤٨ـ يزيد في محكمة التأريخ: للسيد جواد القزويني، أمير، ط ١٩٩٩.

٤٩ـ السيدة رقية: للشيخ علي الرباني الخلخالي، أنتشارات مكتب الحسين عليه السلام، قم، ط الثانية.

٥٠ـ ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام: الشيخ عبد الكريم العقيلي، دار الغدير قم. ط الأولى.

٥١ـ شرح نهج البلاغة: لأبن أبي الحديد المعتزلي.

٥٢ـ نفس المهموم: الشيخ عباس القمي، المكتبة الحيدرية، قم، ط الأولى.

٥٣ـ ثلاث نساء في سماء العقيدة: السيد محمد بحر العلوم، دار زيد، ط الثالثة، لندن.

٥٤ـ معالي السبطين: الشيخ محمد مهدي المازندراني، تبريز، بازار صفى.

٥٥ـ ناسخ التواريخ: للشيخ محمد تقي الكاشاني، مدين، قم، ط الأولى.

٥٦ـ تاريخ الطبري: للشيخ الطبري.

٥٧ـ رجال الطوسي: للشيخ الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط الثالثة.

٥٨ـ نور الأبصار للشبلنجي، ذوي القربى، قم، ط الأولى.

٥٩ـ الحسين وبطلة كربلاء: للشيخ محمد جواد مغنية، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط الأولى.

٦٠ـ بين يدي الإمام الحسن بن علي: السيد محمد بحر العلوم، زيد لندن، ط الأولى.

الفهرس